جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكـــرة ماستـــر

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالب:
الزهرة مصدق

يوم:22/06/2022

فنيات الترسل في الرسائل الأدبية
القرنان الثالث والرابع الهجري ـ أنموذجا ـ

لجنة المناقشة:

سامية آجقو	أستاذ ة	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
فاطمة دخية	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا ومقررا
آمال مزهودي	أستاذ مساعد أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وعرفان

أحمد الله تعالى وأثني عليه الثناء كله ، عدد خلقه ورضا نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته ، لله الحمد والمنة على ما وهبني من قوة وصبر وتوفيق لإتمام هذا البحث المتواضع .

ولأستاذتي الفاضلة الدكتورة فاطمة دخية مني فائق التقدير والاحترام على ما قدمته لي من دعم معنوي ،وعلمي ومن مساعدة وتوجيه وحسن إشراف ، وأن أشركتني من وقتها الثمين لإنجاز هذا العمل أستاذتي الفاضلة شكرا على كل ما منحتني أتمنى لكي التوفيق والنجاح في مسارك الشخصي والعملي ودمت منارة علمية يهتدي بها طلاب العلم كما أشكر كل أساتذة قسم الأدب العربي على ما قدموه لنا من عون طيلة مسيرتنا الدراسية .

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

إلى صاحبة الفضل علي

في إكمال مشواري الدراسي

والوحيدة التي أجبرت نفسي

على مواصلة هذا الدرب من أجلها

و طلبا لرضاها هي وفقط

إلى زهرة أيامي

أمي ثم أمي ثم أمي

زهرة مصدق

مقدمـــــة

مقدمة :

العصر العباسي عصر استثنائي بكل ما تعنيه الكلمة ، لما شهده من تنوع إبداعي غير مسبوق انفتحت فيه الدولة الإسلامية على ثقافات جديدة ، هذه الدولة الفتية أخذت من تلك الأمم كل ما هو إيجابي من علوم وفنون وعمارة وغيرها من عناصر مكونة للحضـارة متخذة من الكتابة أداة ووسيلة النقل لتلك الألوان العلمية والأدبية ، فهي أهم عوامل تطور هذا العصر ، وهي في حد ذاتها عرفت تطورا فلم تعد تتقوقع على نفسها في محدودية مواضيعها ، بل شهدت الأعصر العباسية خاصة الثاني والثالث نشاطا فكريا كبيرا ـ بشكل خاص القرنين الهجريين الثالث والرابع ـ فأغلب الكتابات بمختلف مواضيعها وفنونها الأدبية النثرية والشعرية في أكمل صورها تنتمي إلى هذا العصر .

انتشرت الدراسات و الترجمات ، وتنوعت المواضيع ، وتباينت المستويات ، وطبقات الأدباء والشعراء ومن تلك الفنون النثرية التي عرفت تطورا فن الرسائل بجميع مواضيعها أين بلغ قمته وروعته في هذا العصر خاصة في الفترة الوسطى منه ، أين سطع نجم الكثير من الأسماء المتخصصة في هذا المجال بداية برائد هذا الفن عبد الحميد الكاتب الذي قتل على يد العباسيين في بداية حكمهم ، ثم التقط الراية ابن المقفع الذي لاقى المصير نفسه بعد اتهامه بالزندقة ، ثم توالى الكتاب أشهرهم في القرنين الثاني والثالث سهل بن هارون و الجاحظ ، مرورا بكتاب القرن الرابع كابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وبديع الزمان الهمذاني ، وغيرهم من الذين نوعوا في مواضيع هذا الفن بين سياسية وإخوانية وأدبيـة هـذه الأخيرة شغلـت اهتمامنا وأثـارت تساؤلاتنا حـول الفنيات التي تحكـم بنائها وأهم روادها وغيرها من التساؤلات التي تتمحور على قضاياها .

فكانت مدونة بحثنا الموسومة ب : فنيات الترسل في الرسائل الأدبية في العصر العباسي خلال القرنين الثالث والرابع هجري ـ أنموذجا ـ

ولأن العصر العباسي عصر استثنائي في تاريخ الأمة العربية والإسلامية ، عرف هذا الفن ازدهارا وتنوعا خاصة خلال هذين القرنين أين كثر فيه المترسلون في الجانب الأدبي لهذا وقع اختيارنا على هذا الموضوع للإجابة على إشكال طالما أثار فضولنا وتساؤلنا محاولين الوصول إلى أسرار هذا الفن وهو:

ـ هل يحتكم الفن الترسلي الأدبي خلال القرنين الثالث والرابع الهجري إلى فنيات تضبطه؟

. وهل تختلف عن فنيات باقي الأغراض الترسلية ؟

ـ ما هي الخصائص والمميزات التي تميزه عن باقي الفنون ؟

ـ ما هي ملامح التجديد التي ميزت الرسائل الأدبية خلال هذه الفترة ؟

ـ وهل تتشابه الرسائل في بنيتها وان اختلفت أغراضها خلال هذين القرنين ؟

في محاولة منا للإجابة على إشكالنا المطروح اتبعنا خطة قسمناها إلى فصلين يتقدمها مدخل عرفنا من خلاله الرسالة بمفهوميها اللغوي والاصطلاحي ، وتحدثنا عن أنواع الرسائل (السياسية الاخوانية والأدبية) ، وتطورها عبر العصور الأدبية .

يليه الفصل الأول أي النظري ، والذي تمحور حول الرسائل الأدبية ، تطرقنا من خلاله إلى أهم الأغراض الأدبية (من مدح ورثاء وهجاء ووصف) ، والأشكال التعبيرية (من مفاخرة ومحاورة ومفاضلة ومساجلة ومخارجة) ، ثم تناولنا الخصائص الفنية التي تحكم الفن الترسلي الأدبي من عناصر الشكل، وظواهر أسلوبية وبنائية .

أما في الفصل الثاني فدرسنا الموضوع من ناحية بنية النصوص الرسائلية واستظهار الخصائص الفنية والأسلوبية وطريقة توظيفها في النماذج المدروسة ، حاولنا من خلاله تحليل نماذج تعود للقرنين منتقين أهم الأسماء التي اشتهرت طرائقهم الترسلية ، وكان لها أثر بارز في إضافة الجديد لفن الترسل ، فدرسنا كل رسالة على حدا دراسة فنية تحليلية من المقدمة إلى المضمون إلى الخواتيم ، مختتمين جهدنا بجملة من النتائج التي توصلنا إليها .

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي لمرورنا على حقبة زمنية تاريخية ، مستعينين بآليتي الوصف والتحليل كونه الأنسب للدراسة الأسلوبية والفنية والبنية المكونة للرسائل الأدبية عند أهم روادها واستظهارها .

ساعدنا في ذلك جملة من المصادر والمراجع التي كان لها الفضل في إثـراء مدونتنا ولعل أهمها كتاب الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث هجري

لمحمد الدروبي ، والذي هو في الأساس مذكرة شهادة الدكتوراه لمحمد الدروبي ، تاريخ الأدب العربي والفن ومذاهبه لشوقي ضيف ، وكتاب النثر الفني في القرن الرابع لزكي مبارك ، وغيرهم من المصادر والمراجع .

وكأي طالب علم يحاول الوصول إلى الحقائق والإجابة عن التساؤلات واجهتنا بعض الصعوبات الذاتية والمتمثلة في صعوبة غربلة المعلومات والاختيار الأنسب منها ، نظرا للزخم المعرفي الكبير المتناول لموضوعنا .

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة الدكتورة " فاطمة دخية " التي لم تبخل علينا في تزويدنا بالتوجيهات والمراجع ، والدعم النفسي والمعنوي الذي زاد من إصرارنا على استكمال المشوار أتمنى لها موفور الصحة ، وتمام العافية ، والمزيد من النجاح والتقدم في حياتها الشخصية والمهنية والعلمية ، ودامت سندا لطلابها .

مدخـــــــل

النثر الفني الترسلي في العصر العباسي

(المفاهيم ـ الأنواع ـ حركة التطور)

أولا : مفهـــوم الرسالـــة

ثانيا: تطـــور الرسالة عبر العصور الأدبية

ثالثا : أنـــواع الرسائـــل

تمهيد

انقسم كلام العرب إلى منظوم ومنثور ، فالنثر نقيض الشعر ، وقد سار الفنان جنبا إلى جنب ، واختلف كل منهما عن الآخر ، إذ لكل منهما ضوابط وأحكام تميزه كفن له شخصيته المستقلة ، وإن كانت الأفضلية للشعر عند العرب القدماء كونها أمة شاعرة هذا لا ينفي أهمية النثر عندهم ، بل تنوعت أغراضه وتباينت منذ العهد الجاهلي وصولا إلى العصر العباسي هذا العصر المتميز بالانفتاح على مختلف الحضارات من خلال عملية التراجم التي ازدهرت خلاله ، و التي كان لها الفضل في إثراء هذا الفن ، وأصبح له أهمية عند الدارس النقدي ، وان كانت مكانة أقل من مكانة الشعر كما سبق وذكرنا .

وحتى نصل إلى معنى النثر بشكل أوضح لابد من التطرق إلى أهم التعريفات التي جاء بها النقاد ، وأولها ما أورده ابن رشيق في كتاب العمدة حيث قال فيه : « كلام العرب نوعان منظوم ومنثور ، ولكل منهما ثلاث طبقات جيدة ، متوسطة ، ورديئة فإذا اتفقت الطبقتان في القدرة وتساوتا في القيمة لم يكن لأحدهما الفضل على الأخرى ، وإن كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية »[1] ، فمن كلامه نستخلص أن كلام العرب تمحور حول فنيين هما : فن الشعر المنظوم وهو « الكلام المقفى الموزون وبأوزان مخصوصة »[2] ، وفن النثر وهو « الكلام غير الموزون بوزن ولا قافية » [3] .

و يعرفه المعجم الوسيط بأنه : « الكلام المرسل غير الموزون ولا المقفى ، وهو خلاف المنظوم »[4] ، و وفي تعريف لشوقي ضيف يقول معرفا النثر : « النثر هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان وقوافي ، وهو ضربين : أما الضرب الأول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب ، ... ، أما الضرب الثاني فهو النثر الذي يرتفع فيه

---

[1] . أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ج 1 ، مطبعة أمين هندية ، مصر ، ط 1 1344 هـ . 1925 م ، ص 4

[2] . أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ج 1 ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر 1379 هـ . 1960 م ، ص 40

[3] . محمود المقداد ، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1413 هـ . 1993 م ، ص 65

[4] . مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية،ط 4 ، ص 900

أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة »[1] ، وقد عنى دارسوا اللغة العربية بالضرب الثاني وأولوه جل اهتمامهم مبينين أنه يتفرع إلى قسمين كبيرين هما « الخطابة والكتابة الفنية ويسميها بعض الباحثين باسم النثر الفني وهي تشمل القصص المكتوب كما تشمل الرسائل الأدبية المحبرة وقد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمقة »[2] ، و للنثر مزايا يوضحها عبد العزيز عتيق في قوله: « مزايا النثر تحرره من قيود أي من الوزن والقافية وهذه الميزة جعلته أقدر على معالجة موضوعات أكثر تنوعا وتعقيدا و أوسع مدى ومجالا مما يمكن للشعر معالجته »[3] .

لعب النثر دورا هاما وريياديا في الحياة البشرية عامة والعرب خاصة ، فبرجوعنا إلى الحقبة الجاهلية نجدهم كانوا مولعين بالتاريخ والقصص التي تروي بطولاتهم القبلية ووقائع معاركهم وأيامهم وأخبار ملوكهم مستخدمين النثر القصصي ، كما استخدموا النثر في مختلف أغراضهم بدء بالسياسة والتجارة وصولا إلى مختلف التعاملات .

غير أن المتتبع للدراسات التي اهتمت به في هذه الفترة خلصت إلى أن العرب لم يخرجوا بالكتابة إلى أغراض أدبية فنية « خالصة بل كانت فطرية أدت أغراضا خاصة في عصرها ، وانتهت بانتهاء الغرض » [4] .

بمجيء البعثة المحمدية رفعت قيمة الكتابة والقراءة ، بل أصبحت الركيزة التي يستند عليها الإسلام في انتشاره ، فأول آية نزلت تأمر بالقراءة التي هي مفتاح العلوم ، يقول عز وجل : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ ٱلۡإِنسَانَ مِنۡ عَلَقٍ (2) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (3) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (4) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (5) ﴾[5] ، كما أقسم في سورة القلم فقال : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) ﴾ [6] ، وهذا إعلاء من شأن الكتاب

---

[1] . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 10 ، ص 15

[2] . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[3] . عبد العزيز عتيق ، في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1391 هـ . 1972 م ص 161

[4] . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، مرجع سابق ، ص 19

[5] . سورة العلق [الآية: 1 – 5]

[6] . سورة القلم [الآية: 1]

والكتابة والقلم ، كما شجع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابة ، وقد ورد «أنه في غزوة بدر كان فداء بعض الأسرى الذين يكتبون أن يعلموا عشرة من صبيان المدينة الكتابة » [1] .

لما آلت الخلافة إلى الأمويين أخذت الكتابة تنحو نحو الرقي والتطور بشكل تصاعدي فبتعقد الحياة الجديدة لانفتاحها على أمم وثقافات متنوعة بدأت الكتابة العربية تأخذ شكلا فنيا لوجود أسباب جوهرية منها : قربها من العصر الجاهلي وما حمله من تراث نفيس من شعر وصور نثرية بسيطة كالأمثال والحكم وقصص أيامهم ، ومحاولة محاكاة الجاهليين ، إلى جانب المنهل الإسلامي واتسامه بالجدية والصرامة والانضباط والرقي متمثلا في « تاريخ الإسلام وخطوبه وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه وسيرة الخلفاء الراشدين وفتوحاتهم ، ثم ما كان من أحزاب سياسية وما لكل حزب من آراء في السياسة والحكم »[2] ، ومن الأسباب أيضا عقلية العربي في هذه الفترة المتعطشة للانفتاح على ثقافات الآخر أثناء نشر وانتشار الإسلام ، « من أجل معرفة شؤون الأمم المفتوحة ونظمها السياسية والاجتماعية والاستعارة منها حسب الحاجة ، ولعل أول من كان من هذه الاستعارة اتخاذ عمر لديوان العطاء أو ديوان الجيش ، وقد خلفه جيل كانت استعارته أقوى وأكبر » [3] فنمت الكتابة في هذا العصر نموا واسعا .

بوصول العباسيين إلى سدة الحكم في انقلابهم على الأمويين تغيرت ملامح الحياة بجميع مناحيها « ذاك أن صبغة الدولة أصبحت إسلامية عالمية بعد أن كـانت عربية ودامت الدولة العباسية في الحكم حوالي خمسة قرون شهدت خلالها الدولة فترات من العظمة والسؤدد والأبهة ، وتمتع الخلفاء أثناءها بكل مظاهر الترف والحضارة كما شهدوا أيضا فترات من الضعف والشدة والبؤس ذاقوا خلالها مرارة الذل والهوان »[4] ، تأثر الإنشاء بمعالم الجو العام للدولة أين ساد الاطمئنان والرخاء والحياة المترفة والاستقرار السياسي ، فغنت الكتابــة الفنيــة وتنوعــت ، وأصبــح لها مميــزات كالتطويــل

---

[1] . أحمد أمين ، فجر الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 ، ص 163

[2] . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، مرجع سابق ، ص 99

[3] . المرجع نفسه ، ص 99

[4] . نبيلة حسن محمد ، تاريخ الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر، 1993 ، ص 7

والإطنـاب في الكتابات الفنية « وزادهم الاختـلاط بالفرس وما ترجم من آدابهم تأنقا في العبارة ونزوعا عن أسلوب البلغاء في صدر الإسلام والعصر الأموي ، وقد أخذوا يضمنون رسائلهم الأشعار والأمثال »[1] .

من أهم العوامل التي ساعدت على تنوع الكتابة ورقيها في هذا العصر تنوع موضوعاتها ، عمق معانيها ، رقي أفكارها ، سهولة ألفاظها ، رقة أساليبها ، أناقة عباراتها ، و ارتفاع منزلتها ، فقد كانت السلم للارتقاء في المناصب العليا ، إضافة إلى أهم عامل وهو « الدعوة إلى الحزب الجديد والحكم الذي أقيم على أنقاض الأمويين فكان العباسيون محتاجين إلى إتقان فن القول بقدر حاجتهم إلى بيان سياسيتهم وتوطيد حكمهم ، وكذلك كانت الفتن والوفادة ومجالس العلماء والوعظ الديني من الدواعي التي دفعت إلى رقيها »[2].

خلال العصر العباسي « أصبح النثر الفني فيه متعدد الفروع »[3] ، فنجد النثر العادي وهو الذي يتناوله الناس في حياتهم العادية من دون مراعاتهم لقواعد اللغة الفنية غير آبهين لها ، والنثر العلمي والذي من خلاله يتم تناول الحقائق العلمية والمخترعات عن طريق التقارير ، يتسم « بأسلوب موضوعي محض لا أثر فيه للخيال والزخرف ، ولا مجال للتروي بمقدار ما تسمح سلامة الفكرة ، وإصابة النظرة كتقعيد القواعد النحوية وتقرير الأصول الفقهية وما إلى ذلك من نظريات الرياضة وخواص المادة ،وظواهر الطبيعة ، وغيرها من الأساليب العلمية التي هدفها الأول جلاء الحقيقة وإبراز الفكرة »[4] والكتابة الأدبية سواء أكانت الوصفية التي تعنى بالنقد وتاريخ الأدب ، أم الإنشائية بفرعيها الرسائل والقصص والمقامات ، ولكل منها فرع أيضا .

---

[1] . جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ،ج 2، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر، 2012 ، ص 129 . 130

[2] . مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز ، دراسة بلاغية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية مصر ص 150

[3] . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، مرجع سابق ، ص 129

[4] . محمد نبيه حجاب ،بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، دراسة تحليلية لتطور الأساليب ، مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة ، ط2 ، 1406 هـ . 1986 م ، ص 89

وستتمحور دراستنا حول شق من نثر ثالث ، وهي الرسائل الأدبية التي تنتمي للنثر الفني المتميز بقواعد فنية تضبطه عند كتابته .

أولا . مفهوم الرسالة

01 ـ المفهوم اللغوي :

وقبل شرحنا للمعنى الاصطلاحي لكلمة رسالة لابد من الوقوف على معناها اللغوي فهي مشتقة من الفعل رسل (رَسَلَ) ، والتي تحوي معاني حسية ، تحدثت عنها أمهات المعاجم العربية بشكل مستفيض ليتطور المفهوم من الاستعمال الحسي إلى الاستعمال المعنوي كما سيتم توضيحه.

جاء في مقاييس اللغة : " رسل : الراء والسين واللام ، أصل واحد مطرد يدل على الانبعاث والامتداد " [1] .

كما ورد شرح (رسل) في أساس البلاغة على النحو التالي : « رسل ، راسله في كذا وبينها مكاتبات ومراسلات ، وتراسلوا و أرسلته برسالة ، وبرسول ، وأرسلت إليه أن أفعل كذا وأرسل الله في الأمم رسولا ، وأرسل الفعل في الإبل ، وأرسل كلبه وصقره إلى الصيد وأرسل يده بعد المصافحة ، ووجهت إليه رسلي إرسالا متتابعة »[2] .

أما في المعجم الوسيط جاءت بمعاني عدة : أرسل الشيء أطلقه ، وأهمله ويقال أرسلت الطائر من يدي ، ويقال أرسل الكلام أطلقه من غير تقييد ، والرسول بعثته برسالة وتراسل القوم : أرسل بعضهم إلى بعض .

ورسل البعير ـ رسلا ورسالة : كان رسلا ، والشعر رسلا : كان طويلا مسترسلا .

وفي التنزيل العزيز ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [3] .

راسله في عمله : تابعه ، وتراسل القوم : أرسل بعضهم إلى بعض رسولا أو رسالة .

---

[1] . أبو الحسن أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، ج 2 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، 1399 هـ . 1979 م ص 392

[2] . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1419 هـ . 1996 م ، ص 23

[3] . سورة مريم [الآية: 83]

وترسل : تمهل وترفق ، ويقال ترسل في كلامه وقراءته ومشيته ، والكاتب أتى بكلامه مرسلا ورسالة الرسول : ما أمر بتبليغه عن الله

الرسالة : ما يرسل ، والخطاب ، وكتاب يشتمل على القليل من المسائل تكون في موضوع واحد ، أو بحث مبتكر يقدمه الطالب الجامعي لنيل شهادة عالية ، الرسول : المرسل (للمذكر والمؤنث ، والواحد والجمع) جاء في تنزيل العزيز﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [1] ويجمع أيضا على رسل وأرسل [2].

مما سبق من تعريفات لغوية متقاربة يتضح أن مفهوم الرسالة اللغوي يدور في مجمله حول مهمة التبليغ ، والتواصل سواء أكان الأمر مشافهة أم مكاتبة ، وهو الأمر الذي يتطلب وجود طرفين للرسالة المرسل والمرسل إليه إلى جانب وجود رسالة تكون الرابط بينهما ، وفي حالة وجود وسيط ناقل لتلك الرسالة سمي بالرسول .

فالمعاني والدلالات الواردة في مختلف المعاجم العربية اتفقت على معنى واحد وهو الانبعاث ، والانبساط ، والتتابع والرفق والتمهل والتأني ، بالتالي فمفهوم الرسالة تطور منطلقا من المجال اللغوي ليصبح دالا «على كل كلام يراسل به من بعيد »[3] .

فالتعريف اللغوي الشامل لكلمة رسالة ما يورده عبد العزيز العتيق بقوله : « هي كل ما يرسل أو هي كلمة شفوية أو مكتوبة يبلغها الرسول أو يحملها إلى من ترسل إليه وهذه الكلمة تختلف طولا وقصرا على حسب موضوعها »[4] ، ليتطور ويصبح دالا على العديد من المواضيع يبين ذلك محمد التو نجي من خلال تعريفه الذي يقول فيه : « الرسالة ما يكتبه المرء إلى صديقه أو أهله ، وتكون موجزة محدودة الموضوع ، سهلة الأسلوب ، خالية من التأنق اللفظي غالبا »[5] ليضيف بأنها « بحث علمي يعده طلاب الجامعات لنيل درجة عالية فوق الإجازة كرسالة الماجستير ، ورسالة الدكتوراه . ولها

---

[1] . سورة الشعراء [الآية: 16]

[2] . إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط 4 ، 1425 هـ . 2004 م ، ص 344

[3] . فايز عبد النبي ، فلاح القيسي ، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، دار البشير للنشر والتوزيع عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1409 هـ . 1989 م ، ص 77

[4] . عبد العزيز عتيق ، في النقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص 221

[5] . محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، ج 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 2 ، 1419 . 1999 ص 478

صفات خاصة تتميز بالأسلوب الرصين ، والبحث العلمي المعتمد على التقميش والاستقراء والاستنتاج ، وتخضع للمناقشة من قبل أساتذة ذوي خبرة لتقدير تفوقها وأهلية صاحبها »[1] .

02 ـ المفهوم الاصطلاحي :

يعود الفضل في تأسيس مصطلح " الرسالة " إلى دواوين الخلافة في العصر الأموي من خلال إنتاج هذه الصناعة المرتبطة أساسا بالكتابة ، يقول صالح بن رمضان : « وقد رسخت الكتابة الديوانية الدلالة المزدوجة لكلمة رسالة ، فبروز الاشتراك المعنوي بين الرسالة باعتبارها جنسا من أجناس الكتابة الأدبية وبين الرسالة باعتبارها جنسا من أجناس المكاتبة الإدارية » [2] ، فالتنظيم الإداري الذي ظهر في هذا العصر كان السبب الرئيس في وضع حدود المصطلح واستعمالاته ، وذلك بإطلاق مصطلح " الترسل " على الاتجاه الفني الجديد في النثر العربي ، غير أن هذا المصطلح « لم يكن متداولا قبل نهاية القرن الرابع الهجري »[3] ، إنما كان المستعمل مصطلح " الكتاب والمكاتبة " لدى النقاد القدامى خاصة في السياقات النقدية الخاصة بالرسائل ، ويؤكد ذلك القلشندي بقوله : « كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل ، تسمية بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعمها وربما قبل ديوان المكاتبات . ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه إلى الآن »[4] ، فأطلقت لفظة " كاتب " على كاتب الرسالة ولفظة " المكاتبة والكتاب " أطلقت على الرسالة ، إذ أن مفهوم الترسل بشكله الدقيق لم يظهر إلا في القرن السادس الهجري .بعد أقراره كجنس أدبي مستقل .

فما هو التعريف الاصطلاحي لكلمة رسالة ؟

الكثير من الدارسين أورد تعريفا اصطلاحيا لها سنحاول التطرق إلى أهمها كما يأتي:

تعريف علي بن محمد الشريف الجرجاني يقول فيه : « الرسالـة هي المجلة المشتملـة

---

[1] . محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 478

[2] . صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم ، مشروع قراءة شعرية ، ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 2007 ، ص 56ـ 57

[3] . محمود المقداد ، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية ، المرجع السابق ، ص 147

[4] . أبو العباس القلقشندى ، أحمد بن أحمد بن علي ، صبح الأعشى ، ج 1 ،دار الكتب المصرية ، القاهرة 1340 هـ . 1922 م ، ص 90

على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد ، والمجلة هي الصحيفة يكون فيها الحكم الرسول إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام ، والرسول في الفقه وهو الذي أمره المرسل بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض ، قال الكلبي والفراء كل رسول نبي من غير عكس ، وقالت المعتزلة لا فرق بينهما فإنه تعالى خاطب محمدا مرة بالنبي وبالرسول مرة أخرى »[1] .

وورد تعريف لها في معجم مصطلحات الأدب بأنها « ما يكتبه المرء لصديقه وأهله ، وهي نوع من الكتابات النثرية أخذ طابعا أدبيا متميزا منها : الرسالة الاخوانية وتكون من صديق إلى صديقه... أما الرسالة الديوانية أو الإدارية فهي صادرة عن أمر رسمي من أمور الدولة »[2] ، « وقد سميت رسائل لأن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال »[3] .

وقد أطلق على الديوان الذي تصدر عنه بديوان الإنشاء لاهتمامه بإنشاء المراسيم ووثائق التولية ، والعقود والعهود والرسائل الرسمية ومختلف المكاتبات الموقعة من الخليفة.

والترسل يعني « إنشاء المراسلات على الخصوص ، لأنهم يريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب إليه ، من حيث الأدب والمصطلحات ، الخاصة الملائمة لكل طائفة وهو الذي يتغير مع الأعصر ، ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لأن أساليبها متشابهة »[4] .

فالترسل كما أورده ابن وهب الكاتب بقوله : « إن الترسل من ترسلت ـ أرسل ـ ترسلا وأنا مترسل كما يقال توقفت بهم ـ أتوقف توقفا ، وأنا متوقف ، ولا يقال ذلك إلا في من تكرر فعله في الرسائل ، ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة أرسل ـ يرسل ـ إرسالا وهو مرسل الاسم الرسالة ... ، وأصل الاشتغال في ذلك أنه كلام يراسل به من بعيد فاشتق له اسم

---

[1] . علي بن محمد الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1985 ، ص 115

[2] . محمد بوزواوي ، معجم مصطلحات الأدب ، الدار الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 ، ص 154

[3] . أبو العباس أحمد القلقشندى ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ،ج6 ،المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1333 هـ . 1915 م ، ص 157

[4] . جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج2 ، مرجع سابق ، ص 689

الترسل والرسالة من ذلك »[1] .

ابن وهب حدد مفهوم الرسالة من خلال كاتب الرسالة نفسه على النحو التالي :

1- المترسل :

« اسم لكاتب الرسالة الذي اكسبه طول ممارسة الكتابة صفة الشخصية الأدبية »[2] .

وبالعودة إلى قوله تكرار فعله في الرسائل المقصود منها « اكتساب المترسل تقاليد الكتابة وتعدد النماذج الأدبية التي يؤلفها فتكون الجنس الرسائلي »[3] .

2- المراسل :

يتميز عن غيره من ناحية التخاطب الرسائلي ، بحيث يكتب نوعا معينا من الرسائل التي تقتضي وجوبا ردا على ما ابتدأه المرسل من إرسال .

وللمراسلة بلاغة خاصة ونوع خاص من الخطاب يراعى من خلاله حالة الكاتب والمكتوب له مع مراعاة المكانة وتجمل تلكم الخواص في السذاجة والجلاء ، والإيجاز والملائمة والطلاوة ، « فالسذاجة تجعل الكلام فطريا سليما من شوائب التكلف ، منزها عن زخرف القول ، بعيدا عن بهرجة الكلام ، و الجلاء : هو العدول عن الكلام المغلق والتشابيه المستبعدة ، والتراكيب الملتبسة إلى الكلام المهذب الصريح ، والإيجاز : تنقيح الرسالة من حشو الكلام ، وتطويل الجمل ، فيبرزها وافية الدلالة على المقصود ، مقتصرة على المحسنات القريبة المنال » [4] .

ـ السذاجة : بمعنى خلو الكلام من التكلف والبهرجة اللفظية ، والصنعة .

ـ الجلاء : هو البعد عن الغموض والتشبيهات الغريبة .

ـ الإيجاز : الابتعاد عن الحشو والجمل الطويلة " ليبرزها وافية الدلالة على المقصود مقتصرة على المحسنات القريبة المنال " [5].

ـ الملائمة : وتكون باستعمال الألفاظ والمعاني المناسبة لكل مقام مقال ، فلعلية القوم لفظ ومعنى ، ولعامته لفظ ومعنى .

---

[1] . ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تحقيق أحمد مطلوب ، مكتبة العاني ، بغداد ، العراق ، 1967 ، ص 193

[2] . الصالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس هجري ، المرجع السابق ، ص 102

[3] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[4] . أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ج 1 ، ص 44

[5] . المرجع نفسه ، ص 45.44

ـ الطلاوة : بأن يكتسي الكلام العبارة الجيدة ، والمعنى السليم ، وسلامة اللفظ .

مما سبق تتضح لنا رؤية مفهوم المصطلح بأن الرسالة هي كلام مكتوب يوجه من شخص إلى شخص أو أكثر ، معبرا فيه عن فكرة أو شعور أو عاطفة ، وقد تحمل أمرا أو تنهيه ، أو تعزل أو تعين شخصا ، أو قبول أمر ما أو رفضه ، وهكذا .

ثانيا ـ تطور الرسالة عبر العصور الأدبية :

شيوع الكتابة في أمة ما دليل على تقدمها وازدهارها الحضاري ، فهي مقياس الثقافة وركيزتها الحضارية ، وهي المزود والرافد للمعارف والعلوم والخبرات للمضي قدما في التطوير وبناء الصرح الحضاري .

عرف العرب هذا الفن منذ العصر الجاهلي ، والذي أخذ في النمو والتطور ليبلغ أوج ازدهاره في العصر العباسي ، وسنوضح ذلك فيما يأتي :

01 ـ الترسل في العصر الجاهلي :

فن الترسل قديم بقدم الحضارات والأمم ، ولعل الرسائل السياسية خير مثال على ذلك إذ كانت وسيلة التواصل والتفاهم في السلم والحرب .

وقد كانت بدايتها مشافهة قبل أن تعرف ثقافة الكتابة حيث كان الرسول يلقن نصها بحذافيره دون زيادة أو نقصان ، وينقلها كما هي إلى الجهة المرسل إليها إلى أن ظهرت الكتابة أين استخدمت في كتابتها « وسائل بدائية كالحجارة والجلود ، والعظام » [1] .

والعرب كسائر الأمم عرفوا التراسل منذ العصر الجاهلي ، إذ كانت لهم مراسلات بينهم وبين جيرانهم وأحلافهم من فرس وروم ، ولأن الأمة العربية في تلك الحقبة كانت قليلة الكتابة إلى درجة الندرة اعتمدوا على التراسل مشافهة ، فكانوا « يرسلون كتبهم ورسائلهم على لسان الخلص منهم ، الذين يأمنون لهم ، ويثقون بهم ، ممن تتوفر فيهم الحكمة والفطنة والنباهة ومن ثم كانت تلك الرسائل تحفظ عن ظهر قلب وتتناقلها الألسن »[2] ، وهذا أحد أسباب نسيانها وضياعها لعدم تدوينها كما ضاع كثير من الأدب الجاهلي لضعف التدوين .

---

[1] . حسين بيوض ، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، 1996 ص 13

[2] . المرجع نفسه ، ص 14

هذا لا ينفي وجود مراسلات كتبت في هذا العصر ، إذ الحواضر العربية التي عرفت الكتابة عرفوا الرسائل المكتوبة ، فكتبوا العهود ، التي تكون بين القبائل ، والتي كانت تعرف بالمهارق ، يقول شوقي ضيف في هذا الصدد : « وليس بين أيدينا وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهليين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولوها ، وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الكتابة ، فقد عرفوها ، غير أن صعوبة وسائلها جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية الشعرية والنثرية ، ومن ثم استخدموها فقط في الأغراض السياسية والتجارية »[1] .

ويرى ضيف أن الجاهليين « استخدموا الكتابة لأغراض سياسية وتجارية ، ولكنهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة ، تتيح لنا أن نزعم أنه وجد عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية ، ومن المؤكد أن الكتابة لم تكن حينئذ تؤدى بجانب أغراضها السياسية والتجارية أغراضا أدبية أو فنية من تجويد وتحبير ، إذ لم تكن أكثر من كتابة ساذجة أدت أغراضا خاصة في عصرها وانتهت بانتهاء الغرض »[2] .

ومن مشاهير الجاهلية الذين عرفوا بالكتابة من أهل البادية أكثم بن صيفي خطيب تميم و حكيمها ، وابن أخيه حنظله الذي كان أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أجاد المرقش الأكبر ولبيد بن ربيعة الكتابة .

ومن الأدلة التي يمكن اعتمادها لوجود الرسائل المكتوبة في العصر الجاهلي ما روي عن الرسالة التي كانت السبب في مقتل الشاعر طرفة بن العبد إلى عامل عمرو بن هند ملك الحيرة يأمره بقتله ، إذ حملها وكله أمل أن العامل سيجزيه ويحسن إليه والقصة مشهورة .

02 ـ الترسل في العصر الإسلامي :

بقيام الدولة الإسلامية أصبحت الرسائل ضرورة ملحة ووسيلة الاتصال لربط العلاقات الداخلية والخارجية بهدف نشر الدين وتعاليمه ، ولا يتم ذلك إلا بوجود مراسلات فكان لزاما على الدولة الإسلامية الفتية إنشاء نظامها الخاص من المراسلات والمكاتبات والذي يمكن اعتباره النواة الأولى لقيام ديوان الرسائل الذي أنشئ في عهد معاوية بن أبي

---

[1] . شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف القاهرة ، مصر ، ط 11 ، ص 398

[2] . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، مرجع سابق ، ص 19

سفيان ، وأول « ما يصادفنا في العصر الإسلامي من رسائل هو رسائل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكتبه التي بعث بها بدء من هجرته إلى المدينة »[1] بهدف التعليم والتفقه في الدين لساكني المدينة المنورة ، ووفقا لما يراه محمود مقداد فإن « النشأة الحقيقية لكتابة الرسائل أو لأدب الترسل ، إنما بدأت فعلا مع بداية الهجرة النبوية إلى المدينة ومنذ ذلك التأريخ أخذ أدب الترسل هذا يزدهر ازدهارا متعاظما لا نظير له في أي نوع أدبي نثري آخر »[2] .

كما أرسل صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والحكماء لدعوتهم لتوحيد الله وإتباع المنهج الإسلامي .

وفي العهد الراشدي كانت « لغة الرسائل بين الخلفاء والعمال عربية خالصة قصيرة الجمل بليغة التعبير لا فرق بينها وبين لغة الخطابة ، وكانت موجزة ، وربما اقتصرت على جملتين أو ثلاث تامة المعنى ، كما في رسالة عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يستنجده في مجاعة »[3] . يقول فيها : « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي سلام . أما بعد ، فلعمري ، يا عمرو ، ما تبالي إذا شبعت أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معي . فيا غوثاه ! ثم يا غوثاه ! »[4]، ليرد عليه عمرو برسالة بنفس الاختصار قال فيها : « إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . أما بعد فيا لبيك ! ثم يا لبيك ! قد بعثت إليك بعير أولها عندك وآخرها عندي والسلام ! »[5] .

تميزت الرسائل في صدر الإسلام بأسلوبها الخاص المبني على المزاوجة بين الترغيب والترهيب لنشر تعاليم الدين الإسلامي ، والدعوة إليه ، وقد تأثر بأسلوب القرآن الكريم وبلاغتها الفريدة وفصاحتها الكبيرة وابتعادها عن الغرابة ، فأغلب رسائل تلك الحقبة

---

[1] . حسين بيوض ، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول ، مرجع سابق ، ص 16

[2] . محمود المقداد ، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ط 1 ، 1413 هـ . 1993 م ، ص 72

[3] . بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، حياتهم آثارهم نقد آثارهم، دار مارون عبود ، بيروت لبنان ، ص 399

[4] . المرجع نفسه ، ص 399 . 400

[5] . المرجع نفسه ، ص 400

كـانت دينيـة في طـابعها العام ، كما أنها في هذه الفترة سارت بشكل مضطرب ومتغير لأن : « المكاتبات في صدر الإسلام لم تحفظ في سجلات خاصة ، وكان ذلك سببا في أن تناولها غير مؤرخ وأديب بالتبديل والتحسين ، ومن ثم كان الكتاب الواحد يـروى روايـات مختلفة باختـلاف الكتب التي ترويـه ، وحسـب ذوق الراوي وقدرته البيانية »[1].

فالرسائـل في صـدر الإسـلام أخذت لها محاور ثلاث لم تخرج عن نطاقها ، فكانت « تتصل بالإسلام دعوة ، وبالخلافة إدارة وتنظيما ، وبالمجتمع ترتيبا وتوجيها » [2] .

03 ـ الترسل في العصر الأموي :

بتوسع الدولة الإسلامية في عهد الدولة الأموية ، أصبح إيجاد إستراتيجية إدارية تنظم شؤونها أمرا ملحا أعلى من الرسالة في حد ذاتها ، كونها الناقل أو الوسيط الإعلامي في هذا العصر فأنشئ لها ديوان مستقل عرف بديوان الرسائل ، وهو أقدم الدواوين في الإدارة الإسلامية ، وله تسمية ثانية هي ديوان المكاتبات ، وديوان الإنشاء كونه منشئ المراسيم ووثائق التولية والعقود ، والعهود ، والرسائل الرسمية ومختلف المكاتبات التي يأمر بها الخليفة .

وما يجب الإشارة إليه أن الرسائل « لم تطل وتوضع لها الأصول إلا بعد نبغ عبد الحميد بن يحي ، وكتب لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، فكان هذا المولى طليعة المترسلين البلغاء »[3] .

وفي تلوينه الرسائل بمختلف الاقتباسات عن آثـار الأولين ، يقـول علي حب الله : « عمد عبد الحميد الكاتب إلى الاقتباس من أشعار الجاهليين والإسلاميين وخطبهم فيجرد الصورة عن المادة ، أي يفصل ما بين الوزن والقافية من جهة ، وبين الموضوع من جهة أخرى ، مستعينا في ذلك بخبرته في فنون النثر اليوناني والفارسي فهو في رسالته يعتمد بشدة على الحال وهو ما يكثر دورانه في النثر الفني اليوناني ، ومستعينا بجزالة النثر الفارسي »[4] .

---

[1] . شوقي ضيف الفن ومذاهبه في النثر العربي ، مرجع سابق ، ص 98 . 99

[2] . محمود المقداد ، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام ، مرجع سابق ، ص 74

[3] . بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، مرجع سابق ، ص 400

[4] . علي حب الله ، المقدمة في نقد النثر العربي ، مشروع رؤية جديدة في تقنيات البحث والكتابة ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1421 هـ . 2001 م ، ص 88 . 89

ليضيف : « أول من فك رقاب الشعر وسرح مقيده إلى النثر عبد الحميد ، كاتب بني أمية إلى انقضاء خلافتهم . كما أن ظاهرة استعمال التحميدات ، وإطالة الرسائل استخرجها عبد الحميد من طوال خطب الإمام علي »[1]رضي الله عنه .

وقد مال الخلفاء في هذا العصر إلى « إيثار الطريقة الجاهلية في الترسل المبنية على أيثار الإيجاز والجزالة ، والعبور إلى المعنى بأقصر الطرق ...، وفي ذلك يقول عبد الحميد: تعلمت البلاغة من مروان بن محمد ، أمرني أن أكتب في حاجة إلى أخ له فكتبت على قدر الوسع ، فقال لي : أكتب ما أقول لك : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما آن للحرمة أن ترعى ، وللدين أن يقضى وللموافقة أن تتوخى »[2] .

إن التطور الكبير الذي شهده فن الكتابة النثرية ، يعود في الأساس إلى جهود « كتاب ديوان الرسائل من الموالي الذين كانوا على قدر كبير من الفصاحة واللسن ، من دون أن ننسى أثر تطور الخطابة الدينية والسياسية وتجويدهما ، وجهود زياد والحجاج وقطري بن الفجاءة والمختار الثقفي في تطويرها وتأثيرها في النثر الفني »[3] .

04 ـ الترسل في العصر العباسي :

امتد الحكم العباسي ما يقرب من 524 عاما ، وذلك من سنة 132 إلى 656 هجري يقابله بالميلادي من سنة 750 إلى 1258 ، ابتدأ بحكم أبو العباس السفاح ، وانتهى بسقوط الدولة على يدل المغول زمن المستعصم ، وقد تباينت هذه الفترة وانقسمت قدراتها بين القوة تارة والضعف تارة أخرى ، بل كان مؤشر القوة يمشي متواترا حيث بلغ أقصاه في فترة ليصل إلى نقطة الذروة عرفت فيه الدولة ازدهارا في كل الأصعدة السياسية والاقتصادية والأدبية ، ثم بدأ هذا المؤشر بالتراجع والتنازل والعودة إلى نقطة البداية ليعم الضعف ويتغلغل في جسد الدولة لتسقط في النهاية .

وقد قسم أهل الاختصاص الدولة العباسية إلى أربع عصور لكل منها بداية ونهاية : وهي كالتالي :

---

[1] . علي حب الله ، المقدمة في نقد النثر العربي ، مشروع رؤية جديدة في تقنيات البحث والكتابة ، مرجع سابق ، ص 89

[2] . المرجع نفسه ، ص 90 . 91

[3] . المرجع نفسه، ص 91

ـ العصر العباسي الأول : يبدأ من سنة 132 هـ . 750 م وينتهي سنة 232 هـ . 847 م [1].

ـ العصر العباسي الثاني : يبدأ من سنة 232 هـ . 847 م وينتهي سنة 334 هـ . 946 م [2].

ـ العصر العباسي الثالث : يبدأ من سنة 334 هـ . 946 م وينتهي سنة 447 هـ إلى سنة 1055 م[3].

ـ العصر العباسي الرابع : يبدأ من سنة 447 هـ . 1055 م وينتهي سنة 656 هـ إلى سنة 1258 م[4].

العصر العباسي أزهى العصور العربية من حيث التوهج الحضاري ، والأطول عمرا من بين العصور الإسلامية ، ويمكن أن يقسم إلى عهد قوة وهو العهد الذهبي (القرن الثاني وبعض القرن الثالث هجري يقابل القرنين الثامن والتاسع ميلادي) ، وعهد انحلال سياسي (ضعفت فيه الدولة وانقسمت ، وأصبح الحكم لبني بويه وبني حمدان) بمطلع القرن الرابع هجري (لينتهي إلى الفاطميين)، وفي هذا التمازج الحضاري السياسي والاجتماعي والانفتاح على ثقافة الآخر ، واندماج العادات والثقافات المختلفة والمتباينة غنت خزانة العلم والمعرفة وأضيفت لها علوم وآداب جديدة لم يكن للعرب عهد بها فانتشرت الكتابة باختلاف أصنافها العلمية المتسمة بالموضوعية والخلو من الخيال والزخرف ، التي تهدف إلى تقعيد القواعد وإلى « إجلاء الحقيقة وإبراز الفكرة »[5] والكتابة الأدبية سواء الوصفية التي تعنى بالنقد وتاريخ الأدب أو الإنشائية بفرعيها الرسائل و القصص والمقامات طبعا ولكل منها فروع .

خرجت الفنون النثرية في العصر العباسي في أبهى حللها وتنوعت ، بل أصبح للنثر أهمية سبقت الشعر ، يعود ذلك لعدة أسباب منها الانفتاح على ثقافات الأجناس غير العربية ، وكذا الدمج بين الثقافة العربية وغيرها كالهندية والفارسية واليونانية ، إلى جانب

---

[1] . بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأعصر العباسية ، حياتهم . أثارهم . نقد آثارهم ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2013 ، ص 9

[2] . المرجع نفسه ، ص 155

[3] . المرجع نفسه، ص 255

[4] . المرجع نفسه ، ص 325

[5] . محمد نبيه حجاب ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب ، مرجع سابق ص 89

تشجيع الخلفاء والأمراء الأدباء على الكتابة للنهوض بالفكر العباسي ، إلى جانب الاستقرار السياسي الذي ساعد على بعث الاطمئنان في النفوس فعم الرخاء والتقدم الحضاري وانتشرت الثقافة والعلوم ، إضافة إلى تسابق الكتاب إلى اكتساب مهارات فن الكتابة كونها أهم شروط التوظيف في المناصب العليا في ذلك العصر ، مما ساعد على الارتقاء بالنثر ، إلى جانب تسارع عجلة الترجمة ونقل مختلف الكتب في مختلف العلوم (طب هندسة ، أدب ، فلسفة) إلى اللغة العربية .

وما يهمنا من العصر العباسي بمراحله فترة معينة تعد المرحلة الحاسمة في تاريخ الرسائل وهي :

* **القرن الثالث هجري:** يشمل الثلث الأخير من العصر العباسي الأول « ظهور الدولة العباسية سنة 132 هـ إلى أول خلافة المتوكل سنة 232 هـ »[1] ، و قرابة السبعين سنة من العصر العباسي الثاني (من خلافة المتوكل سنة 232 هـ إلى استقرار الدولية البويهية في بغداد سنة 334 هـ) [2]، عرفت هذه الفترة ركودا ثقافيا تأثرت بسببه صناعة الشعر والنثر ويرجع السبب في ذلك إلى ما أصاب الدولة من فساد وانشغال الأمراء والملوك عن تشجيع العلم والعلماء ، وانتشار الشعوبية المحقرة لكل ما هو عربي ، إذ حقرت علومهم وكفاءاتهم ، وفسدت عقيدة الناس بسبب شيوع الفلسفة والطبيعة والمنطق الوافدة من الحضارات الأخرى ، فتكاثر دعاة الإنشاء في هذا العصر من غير معرفة وأكثروا من استعمال الغريب من اللفظ ، ما دفع ابن قتيبة إلى تأليف كتابه " أدب الكاتب " لمحاربة هذه الظاهرة المتفشية ، ومن الكتب أيضا المماثلة والتي تعد من عمد كتب الأدب" الكامل " للمبرد والبيان والتبيين " للجاحظ ، و " النوادر "لأبي علي القالي و " العقد الفريد " لابن عبد ربه ، و " الأغاني " لأبي فرج الأصفهاني هؤلاء المنشئين كان لهم الفضل بأن يخطو النثر خطوته الكبرى التي كانت في القرن العباسي الثالث ، والتي تضم القرن الهجري الرابع .

***القرن الرابع هجري** : ثلثه الأول كان ضمن الثلث الأخير من العصر العباسي الثاني وثلثيه الباقيين تابعان للعصر العباس الثالث الذي يبدأ من « سنة 334 هـ وينتهي

---

[1] . جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج2 ، مرجع سابق ، ص 385

[2] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

بدخول السلاجقة بغداد سنة 447 هـ »[1] وقد شهد هذا العصر ازدهار الثقافة العلمية والأدبية في سائر الإمارات والممالك الإسلامية المستقلة ، أثناءه تطورت الحياة العقلية وبلغت مراتب عليا رغم عدم الاستقرار السياسي الذي عرفته هذه الفترة من تجزأ أراضي الخلافة العباسية وسوء أوضاع اقتصادية واجتماعية أثرت على حياة الأدباء والعلماء ، إلا أنها عوامل لم تؤثر على مردودهم في القرن الثالث ، هذا الأخير عرف حركة ثقافية لا نظير لها خاصة في بدايته ، إذ اعتبر عصر النضج الفكري ، على الرغم من انتشار مظاهر الفساد الاجتماعي والضعف السياسي الذي ابتليت به الدولة ، كما تميز ببروز أعلام في حقول معرفية مختلفة من فلسفة وطب ورياضيات وفلك وغيرها ، إلى جانب زيادة نشاط حركة التأليف والتصنيف ، فظهرت موسوعات تعلمية في مختلف العلوم والمعارف الإنسانية ، كما اتسع نطاق دراسات حول القرآن والحديث وعلوم الفقه ، وعلوم اللغة والنحو ، و الدراسات الأدبية والنقدية ، إلى جانب اهتمام الأمراء بالعلماء ورعايتهم والإغداق عليهم بالأموال والهدايا كمحفزات ، و كثرة المجالس والنوادي العلمية والتي في أغلبها تعقد تحت إمرة الأمراء والوزراء والقواد من محبي العلم ، دون أن ننسى كثرة المكتبات ودور العلم وانتشارها في كل أرجاء الدولة العباسية .

ثالثا ـ أنواع الرسائل :

ينقسم فن الترسل إلى أقسام عديدة ، بحسب الموضوعات التي تتناولها أو القضايا التي تعالجها ، وهي :

01 ـ الرسائل السياسية (الرسمية) :

هي « الكتب التي تكون بين الملوك والحكام ، والأمراء ، والولاة ، والقواد ، بمعنى آخر الرسائل ذات الطابع الرسمي التي دعيت في العصور المتأخرة بالسلطانيات ، ويندرج ضمنها في بعض الأحيان ما يوجهه بعض العامة أو الخاصة إلى تلك الطبقة »[2] .

تكتب بأيادي متخصصة بصنعة الكتابة تنوب عن الخلفاء ، الوزراء ، الولاة ، والقادة يصف الجاحظ أصحاب هذه الصنعة بقوله : « لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة ، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، وعلى

---

[1] ـ [1] . جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج2 ، مرجع سابق ، ص 386

[2] . حسين بيوض الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول ، مرجع سابق ، ص 5

الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد ، وعلى كل كلام له ماء ورونق ، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها ، وأصلحتها من الفساد القديم ، وفتحت للسان باب البلاغة ، ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعاني »[1] .

تعنى بمختلف شؤون العلاقات الداخلية والخارجية ، يصدرها ويوردها الديوان في أغلب الحالات، و يحدد محمد نبيه حجاب بدايتها بقوله بقوله : « بدأت برسائل الدعوة إلى الإسلام ، والأحلاف التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ، وكذا كتب الأمان والعطاء ... »[2] .

تندرج تحت الرسائل السياسية الرسائل الديوانية وهي رسائل « تصدر عن أمر رسمي من الخليفة أو الأمير لوالي أو وزير أو شخصية بارزة معينة »[3] .

ويعرفها حسين بيوض بأنها : « تلك الرسائل التي تعالج شؤون الإدارة، والتنظيم الداخلي الذي يتعلق بالحياة العامة، وشؤون الرعية، ومصالحها. الديوان مصدرها وموردها. وقد احتل ديوان الرسائل مكانة بارزةً ومرموقةً في قصور الخلفاء والأمراء والولاة والقوّاد، فأصبح بمثابة وزارة مهمتها إدارة الشؤون الداخلية والخارجية للدولة، ولسانها الناطق باسمها »[4].

والرسائل الديوانية كانت تتناول مواضيع مختلفة منها : « تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة ، وأخذ البيعة للخلفاء ، وولاة العهود ، ،ومن الفتوح والجهاد ومواسم الحج والأعياد والأمان ، ،وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والخصيب والجدب وعهود الخلفاء لأبنائهم ،ووصاياهم ووصايا الوزراء والحكام في تدبير السياسة والحكم وأيضا فإنها أخذت تتناول بعض الأغراض التي يتناولها الشعر من تهنئات وتعزيات »[5] .

---

[1] . ناظم رشيد ، الأدب العربي في العصر العباسي ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، العراق ،1989 ، ص 152

[2] . محمد نبيه حجاب بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، دراسة تحليلية تطبيقية لتطور الأساليب ، مرجع سابق ص 54

[3] . محمد التونجي ، المعجم المفصل ، مرجع سابق ، ص 479

[4]. حسين بيوض ،الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، مرجع سابق ، ص23.

[5] . شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، دار المعارف القاهرة ، مصر ، ط 11 ، ص 468

ونظرا لارتباط الرسائل السياسية بصفة عامة والديوانية بصفة خاصة بنظام الحكم والإدارة ومختلف شؤون الدولة ، كان هناك حرص شديد « على دقة المعلومات ومراعاة الرسوم المتعارف عليها في المكاتبات ذات الصيغة الرسمية »[1] .

مما سبق نجد أن مواضيع المراسلات السياسية تتمحور حول المخاطبات الإعلامية والتي تضم كل من : المنشورات المبايعات ، المخالعات ، الأمانات ، البشارات التوقيعات ، والتنظيمات الإدارية وتضم : القضاء ، العطاء ، الخراج ، التعيين ، العزل التكليف ، إلى جانب المراسلات التي تكون بينها وبين باقي الدول (العلاقات الخارجية) فقد ربطت الدولة العباسية شبكة واسعة مع الأطراف المحيطة بها سواء إسلامية أو غير إسلامية .

02 ـ الرسائل الإخوانية :

يعرفها شوقي ضيف بأنها: « الرسائل التي تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم من رغبة ورهبة ومن مديح وهجاء ومن عتاب واعتذار ، واستعطاف ، ومن تهنئة واستمناح ورثاء أو تعزية ، وكانت هذه العواطف تؤدى في العصر الأموي بالشعر ، وكان من النادر أن تؤدى بالنثر »[2] .

ويعرفها محمد رجب النجار بقوله : « هي ضرب من الرسائل الذاتية ، المتبادلة بين الإخوان ، ومن هنا سميت بالرسائل الإخوانية ، أو الإخوانيات »[3]

بينما يخالف محمد نبيه حجاب التسمية المتعارف عليها فيقول: « نعني بها الرسائل الشخصية التي لا تتعلق بشؤون الدولة العامة ، وقد جرى العرف بتسميتها الرسائل الاخوانية ، غير أننا آثرنا هذه التسمية لأنها أحيانا تخلو من المودة والإخاء ، وقد تفيض بالتهكم والتجريح »[4].

---

[1] . محمد يونس عبد العال ، في النثر العربي قضايا وفنون ، مكتبة لبنان ناشرون ، 1996 ، ص 162

[2] . شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 8 ، ص 491

[3] . محمد رجب النجار ، النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابية ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط 2 ، 2002 ، ص 156

[4] . محمد نبيه حجاب ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، مرجع سابق ، ص 59

فالرسائل الاخوانية أو الخاصة متعددة الأغراض ، تتضمن مشاعر الأفراد تجاه بعضهم البعض ، الهدف في كتابتها فردي خاص ، لا تتقيد بالقيود الرسمية ، بعيدة عن الأهداف السياسية والإدارية المميزة للرسائل السياسية أو الديوانية ، فهذا النوع من الرسائل يسعى منه إلى تحقيق الاتصال والتواصل بين الناس فكريا وجماليا من خلال الإبلاغ والتعبير عن انفعالات تترجم من خلال موضوع الرسالة باستعمال لغة مختارة ومنتقاة .

كانت في العصر الأموي تؤدى شعرا ، ويندر أن تكون نثرا « أما في هذا العصر فقد زاحم فيها النثر الشعر بمنكب ضخم وأتاح له في ذلك أمران : أولا ظهور طبقة ممتازة من الكتاب الذين يجيدون أجادة رائعة ، وخاصة من كان منهم يكتب في الدواوين ، إذ كانوا يأخذون أنفسهم بثقافة واسعة وكانوا يُعنون بتحبير كلامهم وتجويده ، وحشد كل ما يمكن فيه من عناية فنية ...، والأمر الثاني مرونة النثر ويسر تعابيره وقدرته على تصوير المعاني بجميع تفرعاتها قدرة لا تتاح للشعر لارتباطه بقواعد موسيقية معقدة من وزن وقافية »[1] بل إن النثر تفوق على الشعر في التعبير عن العواطف لسهولة ويسر تعابيره حتى انه استطاع أن يعرض المعاني بطريقة أدق من التي يأتي بها الشاعر .

باجتهاد الكتاب الديوانيين وكذا السياسيين استطاعوا أن يبتكروا أساليب جديدة غير مألوفة في كتابة الرسائل المعهودة ، قد ارتبطت الرسائل الاخوانية بمختلف المظاهر الاجتماعية التي شهدتها الفترة العباسية ،إذ عرفت تنوعا في هذا الشأن إلى جانب العلاقات الشخصية .

*** المظاهر الاجتماعية :**

يمكن من خلالها تصور المظاهر التي كانت سائدة في العصر العباسي ، نذكر منها :

التهنئة ، التعزية ، الدعوة ، الهدية ، العيادة (السؤال عن المرضى) ، رسائل العناية (تخص أصحاب الحاجات والمنافع الخاصة أي التوصية) .

***. العلاقات الشخصية :**

---

[1] . شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، مصر ، 1975 ، ط 1 ، ص 491

وهي كثيرة ومتنوعة أبرزها : الاعتذار ، الاستعطاف ، الاستمناح (كطلب منحة مالية أو وظيفة) ، الشكوى ، رسائل الشوق .

03 ـ **الرسائل الأدبية :**

يعرفها شوقي ضيف بقوله : « وهي التي تتناول خصال النفس الإنسانية وتصور أهواءها وأخلاقها وتوضح لها طريقها إلى الخير ، حتى لا تسقط في مهاوي الشر »[1].

فهي عبارة عن رسائل تكتب في موضوع ما « لا تطول لتصبح كتابا كبيرا ، بل هي تشبه المقالة أو البحث القصير ، وكانت الرسائل الأدبية في أول أمرها ، تشبه ما يدور من المراسلات العادية بين شخصين ، ثم تطور المعنى مع الزمان ، فصارت تشتمل القطع الأدبية المكتوبة لغرض خاص ، كرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب ، والرسالة العذراء لابن المدبر ، ورسالة التربيع والتدوير للجاحظ »[2].

وللرسائل الأدبية أسلوب خاص يعتمد على حسن اختيار الألفاظ ، والبراعة في توظيف المعاني ، مع جودة السبك وجماله ، وزخرفة البديع إلى جانب الوضوح في الهدف المنشود منها ، إلى جانب سعة الخيال .

وهناك نقاط إلتقاء بين الرسائل الأدبية الإخوانية في كثير من موضوعاتهما وكذا الأغراض ، بل نجد بحث الباحثين اعتبرها جزء من الرسائل الاخوانية .

ويمكن تقسيم الرسائل الأدبية إلى صنفين حسب الأغراض الأدبية (مدح رثاء ، هجاء وصف، ...،) أو حسب أشكالها التعبيرية (المفاخرة ، المحاورة ، المفاضلة المساجلة المخارجة) . وسيتم التفصيل في ذلك في الفصل الأول من هذه المذكرة .

وخلاصة حديثنا أن الرسائل فن نثري ، لم يكن ظهوره طفرة بل مر بمراحل تطورية خلال الأعصر الأدبية ، بداية من العصر الجاهلي ، وصولا إلى العصر العباسي ، اتفقت أغلب المعاجم العربية في تعريفها اللغوي الدال على الانبعاث والانبساط ، ليتطور ويصبح لها العديد من المدلولات،كما أصبح لها العديد من الأغراض .

---

[1] . شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، مرجع سابق ، ص 502

[2] . علي جميل مهنا ، الأدب في ظل الخلافة العباسية ، مطبعة النجاح الجديدة ، 1981، ص 222

الفصل الأول

الرسائل الأدبية الأغراض والخصائص

أولا : الأغراض الأدبية والأشكال التعبيرية

01 . الأغراض الأدبية

(مدح . رثاء . هجاء . وصف)

02 . الأشكال التعبيرية

(مفاخرة . محاورة . مفاضلة . مساجلة . مخارجة)

ثانيا: الخصائص الفنية للرسائل الأدبية

01 . عناصر الشكل (مقدمة . مضمون . خاتمة)

02 . ظواهر الأسلوب

(الأثر الإسلامي والأثر التراثي . التلوين الفني)

تمهيد

الكتابة مهارة لغوية ، ناقلة للأفكار التي ترد على خاطر المفكر أو المبدع ، وقد ازدهرت في العصر العباسي لعوامل مختلفة منها حفظهم للقرآن الكريم والأحاديث النبوية والشعر الجاهلي ، حيث سعوا بكل جد إلى حفظ تلك الآثار للسمو بمستوى أساليبهم والارتقاء بلغتهم ، إضافة إلى ازدهار حركة الخط العربي في هذا العصر ، أين تنافس الكتاب في إظهار مواهبهم في هذا الجانب فأبدعوا في مختلف أغراض الترسل إذ كانت الكتابة هي جسر العبور لتقلد مناصب مهمة في الدولة لأصحاب الطموح .

ومنذ ظهور ديوان الرسائل ظلت الكتابة الفنية محكومة بعناصر شكلية معينة في تحريرها فقد « كانت دواوين الرسائل حينذاك مؤسسات رسمية راقية يتسابق الكتاب إلى العمل فيها ، وكانت هذه المؤسسات تخضع لتراتيب كتابية محددة تصدر بمقتضاها سائر مكاتبات الدولة ، وقد وفر هذا الأمر للرسالة بناء شكليا نموذجيا ظلت أصداؤه حاضرة في أذهان كثير من المترسلين العباسيين »[1] خاصة منهم من اشتغل في سلك الوظائف الديوانية ، أما من لم تسنح له الفرصة للظفر بعمل داخل مؤسسات الكتابة الرسمية تحررت بناءات رسائلهم من الالتزام بمثالية الشكل المعمول بها والمتعارف عليها داخل مؤسسات الدولة ، غير أن البعض منهم حاول الموازنة بين الأمرين .

« وعناصر الشكل لم تولد في العصر العباسي ، فهي تتكئ على موروث عصور مثالية تبدأ بالعصر الجاهلي ، وتنتهي بنهاية العصر الأموي ، على أن آثار عصر صدر الإسلام الوسيط بين هذين العصرين ، كانت أشد ظهورا من سائر الآثار التي تركها العصر الجاهلي ، ولم يكن العصر الأموي إلا امتدادا طبيعيا لعصر صدر الإسلام نمت فيه عناصر بناء الرسالة » [2] ، أين صبغت بصبغة إسلامية ، وفي قوالب بنائية

---

[1] ـ محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث هجري ،مرجع سابق ص 467

[2] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

معينة تحكمها ضوابط لا يمكن الخروج عنها كالالتزام بالبسملة والعنوان والتحية والتحميد والتخلص وغيرها وقد استغنى بعض من الكتاب ، عن بعض العناصر البنائية للرسالة.

أولا . الأغراض الأدبية والأشكال التعبيرية

01 ـ الأغراض الأدبية :

تعددت أغراض الرسائل الأدبية في العصر العباسي حتى أنها استطاعت أن تعبر عن الموضوعات التي كان الشعر يتفرد بالتعبير عنها من مدح وهجاء ورثاء ووصف وغيرها .

« إن طبيعة الشكل الشعري المقيد بالقيود الصارمة كالأوزان والقوافي لا تتيح للشاعر أن يفضي بكل ما لديه ، وأما لغة النثر فإن تحريرها من تلك القيود يفتح أمام الناثر آفاق رحبة تمكنه من تشكيل ملامح صورة أكثر تفصيلا من الصورة التي يسعى الشاعر إلى تشكيلها »[1] ، وهذا ما يؤكد عليه زكي مبارك بقوله : « ألف كتاب العصر العباسي في موضوعات كان قد خص بها الشعر كالغزل ، والمديح ، والهجاء ، والفخر ، والوصف وذلك لأنهم نقلوا إلى النثر محاسن الشعر ، فأصبح أقدر منه على الوصف لخلوه من قيد الوزن والقافية »[2] .

ومن تلك الأغراض نذكر ما يأتي :

أ ـ المدح :

وهو نقيض الهجاء ، وهو « الثناء الحسن وهو بهذا المعنى يعنى بإبراز المناقب والفضائل ، ويعدل عن ذكر المثالب والنقائص » [3] .

---

[1] . محمد محمود الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث هجري ، مرجع سابق ، ص 347

[2] . زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع هجري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2013 ، ص 107

[3] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث هجري ، مرجع سابق ص 375

تميزت المدائح النثرية عن الشعرية المعبر عنها في الرسائل بطابع خاص منها « اتساع المدحة النثرية لتفصيلات كثيرة لا تتاح عادة للمدحة الشعرية المقيدة بقيود داخلية صارمة ، وليس من ريب في هذا الأمر أنه من طبيعة اللغة النثرية ذات المرونة والطواعية »[1] .

ب ـ **الرثاء :**

انفرد الشعر في التعبير عن المراثي منذ الأزمنة الأولى ، إذ ظل حكرا على الشعر حتى عد من البديهيات التعبير عن فواجع الفقد بالشعر فقط ، والنثر العربي « قبل العصر العباسي افتقر إلى محاولات رثاء نثرية جادة وكل ما يمكن أن يقع عليه الباحث في هذا السبيل محض رسائل العزاء » [2] .

ج ـ **الهجاء :**

« هو فن إبراز المثالب والمعايب على وجه الذم ، وهو بهذا يفارق المدح أسلوبا ومضمونا ، فإذا كان المدح يقوم على إظهار الصفات الايجابية فإن الهجاء يقف على نقيض هذه الوجهة تماما » [3] .

يقول شوقي ضيف : « واتسع استخدام الكتاب للنثر في كل فنون الشعر ، حتى فن الهجاء ، بل إن بعض الشعراء كانوا يستخدمونه ويؤثرونه أحيانا على الشعر »[4].

ونظرا لتمكن الكتاب من حمل معاني الهجاء نثرا برزت طبقة من الكتاب الهجائين برعوا في الهجاء النثري بل كانوا أكثر عددا من الكتاب البارعين في الفنون النثرية كالمدح والرثاء ، أمثال « بشر بن أبي كبار البلوي ، أبي عثمان الجاحظ ، وأبي علي البصير ، وأبي العيناء الضرير ، وأحمد بن طيفور »[5].

د ـ **الوصف :**

---

[1] ـ المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[2] ـ محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث هجري ، مرجع سابق ، ص 384

[3] ـ المرجع نفسه ، ص 397

[4] ـ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، المرجع السابق ، ص 497

[5] ـ محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ص 397

أجاد كتاب العصر العباسي الثالث خاصة في القرن الرابع هجري الوصف واهتموا به اهتماما بالغا ، فوصفوا كل ما رأته أعينهم أ جالت به خواطرهم « وأطنبوا في وصف المعاني الوجدانية ، كما أطنبوا في وصف المرئيات ، فتكلموا عن أهواء النفس ونزاعاتها كوصف الحب والوجد ، والحقد والبغض ، والكرم والنبل ، وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء من الهنات والعورات »[1]

وأهم عامل لتطور الوصف في هذا العصر هو سحر الطبيعة الخلابة التي أسرت أنظار الكتاب العباسيين فوصفوا مظاهرها المحيطة بهم من رياض وبساتين ، وحدائق ومتنزهات وبرك وأنهار وأشجار وثمار ، وامتد وصفهم إلى الليل والنهار والكواكب والنجوم وما يحدث في الكون من مظاهر طبيعية كالرعد والبرق والكسوف والخسوف ، ولم يكتفوا بوصف صامتها بل وصفوا حتى الصائت منها من حيوان وحشرات يقول في ذلك بطرس البستاني : « أمعن المترسلون في الوصف حتى جاروا الشعراء في خيالهم ، فوصفوا القصور والحدائق والرياض والأزهار والبرك والجداول والأنهار والبحار ، والسفن والزوارق والزينة والرياش ، والحلي ، وآلات الطرب ، والأطعمات والأشربات ، والأواني ، والفصول والليل والنهار ، والغيوم والمطر ، والرعود والبروق ، والصيد والوحوش والطيور والعواطف والشهوات ، وتماجنوا في وصف الإماء والغلمان ، ومجالس اللذة والطرب »[2].

أصبح للوصف النثري السبق عن الوصف الشعري يقول ضيف في ذلك : « حتى لنرى قوما إذا سئلوا عن الكلام أو الوصف هل يكون هل يكون شعرا أو نثرا فضلوا أن يكون نثرا »[3] .

ولنا مثال على ذلك رواه « المسعودي عن أبي العباس المكي نديم محمد بن عبد الله بن طاهر أنه كان ينادمه ذات ليلة سنة 250 للهجرة فسأله أن يصف له الطعام والشراب

---

[1] . زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع هجري ، مرجع سابق ، ص 173

[2]. بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأعصر العباسية ، حياتهم . أثارهم . نقد آثارهم ، مرجع سابق ، ص 296

[3] . شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، مرجع سابق ، 562

والنساء والخيل ، فقال له : أيكون ذلك منثورا أو منظوما ؟ قال : لا ، بل منثورا ، فالنثر أصبح له القدح المعلى على الشعر »[1] .

ولكن يعاب على رواد هذا المذهب حملهم على التكلف والإسراف إلا أنهم تميزوا عن سابقيهم ، بل كان لهم الأفضلية في الإجادة فيه على الرغم من أن هناك من سبقهم إليه إلا أن كتاب القرن الرابع هجري بشكل خاص والعصر العباسي الثالث بشكل عام وصفوا « وصفا مفصلا بطريقة لم يفكر في مثلها المتقدمون »[2]

02 ـ الأشكال التعبيرية :

بتعدد المواضيع الأدبية تعددت الأشكال التعبيرية ، أين نجد الكتاب في هذا العصر ابتكروا طرقا جديدة يعبرون من خلالها عن الأغراض التي تناولتها ، فخرجوا عن الصور النمطية التقليدية المتوارثة والمستعملة بشكل خاص في الرسائل السياسية والاخوانية ، و وباكتساب الرسائل الأدبية لتلك الأنماط الجديدة في التعبير« ظهرت في هذا الاتجاه الرسائل التي تحتذي حذو المفاخرات ، والرسائل التي تسلك مسلك المحاورات والرسائل التي تترسم سبيل المفاضلات ، والرسائل التي تمثل طرائق المساجلات ، والرسائل التي تجري على غرار المخارجات »[3] .

ويعد الجاحظ أبرع من كتب فيها « فصاغها في قوالب فنية مبتدعة تنأى عن القالب التقليدي الذي ران على فن الرسائل زمنا طويلا » [4] ، إلى جانب سهل بن هارون وأبي العيناء .

أ ـ المفاخرة :

يتصل موضوعها « بتعداد المحاسن والمآثر والمباهاة بالأحساب والأنساب »[5] ، ويعد الجاحظ الرائد في تطوير المفاخرة « وتحويلها من شكل شفوي ذي صبغة اجتماعية عملية

---

[1] . شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، مرجع سابق ، 562

[2] . زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع هجري ، مرجع سابق ، ص 174

[3] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ص 425

[4] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[5] . المرجع نفسه ص 426

في مقام الخطابة إلى نمط من أنماط الترسل ، وإلى بنية تستوعب مختلف أغراض الأدب فـإن سائـر المترسلين قد أسهمـوا في عقد الصلـة بيـن هذين الجنس الخطابي ومقام الترسل »[1] .

وقد تحولت المفاخرة في العصر العباسي الثالث والرابع « إلى فن من فنون المقابلة وأصبحت تخضع لقواعد الموازنات الصوتية المعتمدة في البديع » [2] .

ب ـ **المحاورة :**

وهي « حديث حـواري يجـري بين طرفيـن أو أكثر حول قضية يجد المتحاورون أهمية إبداء آرائهم فيها ، وغالبا تكون هذه الآراء معبرة عن وجهات أنظار أطراف الحوار على تباينها »[3] .

ج ـ **المفاضلة :**

« المفاضلة أن تكون موازنة تعقد بين شيئين من أجل الحكم بفضل أحدهما على الآخر ، ... ، والمقصود هنا المفاضلة المجردة عن النزعة الحوارية »[4] ، مثال ذلك رسالة سهل بن هارون في تفضيل الزجاج على الذهب ، ورسالة الجاحظ في تفضيل النطق على الصمت .

د ـ **المساجلة :**

« منافسة كلامية تنعقد بين طرفين ـ أو أكثر ـ يتولى كل طرف عرض رؤيته في موضوع ما ، والرد على آراء خصمه في محاولة لتقويضها ، وإظهار صدق ما يراه ، وقد ظهرت المساجلة بهذا المعنى في النثر العربي منذ مدة مبكـرة لكـن المشافهة ظلت تغلب

---

[1] . صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم ، مشروع قراءة شعرية ، مرجع سابق ص 295

[2] . المرجع نفسه ، ص 299

[3] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ، ص435

[4] . المرجع نفسه ، ص 447

على هذا النوع من المساجلات ، حتى أخذت حظها من التدوين ابتداء من أوائل القرن الثاني »[1] جل أغراضها متعلقة بالقضايا السياسية ومختلف مواضيعها .

ومن أهم المساجلات الأدبية « المساجلة التي جرت بين أبي بكر الأنباري ، وعبد الله بن المعتز التي دارت حول النقد الأخلاقي من رواية أشعار الفساق والخلعاء والتمثل بشواهدها وإنشاء أبياتها ، وتتخذ المساجلة من أشعار أبي نواس أنموذجا لهذا اللون من الشعر المكشوف »[2] .

هـ ـ المخارجة :

وتعني « إبراز وجوه التخارج بين شيئين يعتقد المرء أنهما متداخلان بصورة تلازمية تلح الذاكرة استدعاء أحدهما إذا ذكر الآخر ، فالحقد والكراهية ـ على سبيل المثال ـ على قدر مشترك من التداخل والانسجام ، لكن إخضاعهما لمفهوم المخارجة يظهر مدى التمايز الدقيق بين هذين المظهرين من مظاهر البغضاء »[3] .

فرسالة المخارجة الغاية منها اظهر ما خفي من فروقات « على نحو يقلب موضوع المخارجة قلبا يخالف ما هو شائع عنه في الأصل »[4] .

ويعود الفضل في ظهور هذا النوع من الرسائل إلى جملة التطورات التي شهدتها الرسائل الأدبية في العصر العباسي ، وتأثرها بعلوم الكلام .

ثانيا ـ الخصائص الفنية للرسائل الأدبية :

تفنن كتاب القرن الثالث هجري في تعويد قرائهم على تجويد وتنقيح كتاباتهم ، وكتاب القرن الرابع « على تذوق الكتابة البليغة ، وحببوا إليهم النثر المصنوع فأصبح المتأدبون يتأملون مواقع الألفاظ ، وقرار التراكيب ، وصارت فنون البديع من تورية

---

[1] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ص 453

[2]. المرجع نفسه ، ص 455

[3]. المرجع نفسه ، ص 459

[4]. المرجع نفسه ، ص 460

وجناس وطباق أصولا فنية يجد القارئ لذة ومتعة حين يراها وقعت موقعا حسنا ، وأصابت الغرض الذي وضعت له ولو كان غرضا لفظيا لا يتوقف عليه تمام المعنى المراد »[1] .

« لم يكن نجاح الكاتب الناشئ هينا ، فقد كان لابد له من إحسان صناعة الكتابة وهو إحسان جعله يتوفر على مادتها اللغوية والأسلوبية ، حتى يتقنها الإتقان المنشود من حيث الوضوح والجمال الفني ، أما الوضوح فلأنه كان يكتب غالبا إلى الرعية ولابد للرعية أن تفهم عنه ، أما من حيث الجمال الفني فلأنه كان يكتب عن الخلفاء والوزراء ، والولاة والقواد ، ولابد أن يروعهم ببيانه وبلاغته »[2] .

01 ـ عناصر الشكل :

منذ ظهور ديوان الرسائل ظلت الكتابة الفنية محكومة بعناصر شكلية معينة في تحرير الرسالة « كانت دواوين الرسائل حينذاك مؤسسات رسمية راقية يتسابق الكتاب إلى العمل فيها ، وكانت هذه المؤسسات تخضع لتراتيب كتابية محددة ، تصدر بمقتضاها سائر مكاتبات الدولة ، وقد وفر هذا الأمر للرسالة بناء شكليا نموذجيا ظلت أصداؤه حاضرة في أذهان كثير من المترسلين العباسيين »[3] ، خاصة منهم من عمل في سلك الوظائف الديوانية أما من لم تسنح لهم الفرصة للظفر بعمل داخل مؤسسات الكتابة الرسمية تحررت بناءات رسائلهم من الالتزام بمثالية الشكل المعمول به داخل مؤسسات الدولة ، غير أن البعض منهم حاول الموازنة بين الأمرين .

« وعناصر الشكل لم تولد في العصر العباسي فهي تتكئ على موروث عصور متتالية تبدأ بالعصر الجاهلي ، وتنتهي بنهاية العصر الأموي ، على أن آثار عصر صدر الإسلام الوسيط بين هذين العصرين كانت أشد ظهورا من سائر الآثار التي تركها العصر الجاهلي ولم يكن العصر الأموي إلا امتدادا طبيعيا لعصر صدر السلام ، نمت

---

[1] . زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع هجري ، المرجع السابق، ص176

[2] . شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، مرجع سابق ، ص 466

[3] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ، ص 467

فيه عناصر بناء الرسالة »[1] ، أين صبغت بصبغة إسلامية ، وصيغت في قوالب بنائية معينة كالالتزام بالبسملة والعنوان والتحية ، والتحميد ، والتخلص ، وغيرها .

وقد استغنى بعض الكتاب عن بعض العناصر البنائية للرسالة ، أو سعوا إلى تغييرها خاصة في الرسائل الإخوانية والأدبية ، إلا أن الرسائل السياسية لارتباطها بالدواوين كانت الأكثر التزاما بتلك العناصر .

أ ـ المقدمة :

« عمل مصنفو أدب الكتاب على تقييد صناعة صدور أو مقدمات الرسائل بقواعد وشروط صارمة وقد تم ذلك منذ أواسط القرن الثالث للهجرة »[2] ، إلا أن الكثير من أنماط الترسل تحررت من تلك القيود يضيف الصالح بن رمضان : « تحرر جانب كبير من الرسائل من قيودها ، ولم يلتزم الكتاب بهذه القواعد إلا في المكاتبات السلطانية ، وإن كانت قواعد هذه المكاتبات تختلف بدورها من ديوان إلى آخر بتفاوت اجتهاد الكتاب في استنباط وبحسب اتساع ديوان الانشاء ، وتنوع الرسائل الصادرة عنه »[3] .

ومن الأمور التي يوليها الكتاب أهمية التجديد في مطلع الكتاب بصفة عامة والرسالة بصفة خاصة ، يقول في ذلك ابن الأثير: « أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة فإن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع ، أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر »[4] .

واستكرهوا الدخول إلى موضوع الرسالة دون وجود تمهيد يهيئ نفسية القارئ أو يجذبه لمواصلة قراءة النص ، فهي أداة العبور إلى صلب الموضوع « فالتهيئة القلبية تجعل القارئ أقدر على تحمل ما قد ينطوي عليه مضمون الرسالة من مفاجآت لم يكن قادرا على استشعارها إلا إذا أمعن نظره في المقدمة والتقط من صيغ البسملة أو العنوان ، أو

---

[1] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ، ص 468

[2] . صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة ، مرجع سابق ، ص 308

[3] . المرجع نفسه ، ص 309

[4] . ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، ج 1 ، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ص 96

التحية أو التحميد ما قد يفتح له نافذة على الموضوع الذي سيأتي إليه الكاتب عقب الفراغ من مقدمته » [1] .

يقول أحمد الهاشمي عن كيفية افتتاح الرسائل : « الافتتاح أن تجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام : إن كان فتحا ففتحا وان كـان هنـاء فهنـاء ، أو كـان عـزاء فعـزاء وهكذا ، وفائدتـه أن يعـرف من مبـدأ الكـلام ما المراد منه »[2] ، ويـوضـح الهاشمـي أن الابتـداءات كـانت تختـار وتنتقى بعناية يقـول في ذلك : « وإنما خصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام ، فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الـوارد بـعده توفـرت الدواعـي على استعمالـه »[3].

تنوعت مقدمات الرسائل في العصر العباسي منها القصير المختصر ، ومنها الطويل وبما أن المقدمة أول ما يجذب سمع المتلقي ، وجب أن تكون قوية محكمة ذات جودة لتلفت الأسمـاع وتشد انتبـاه المتلقي ، و قد تأتـي بسيطة واضحة ، كما قد تكون غامضة وعقدة « ومن هنا تتضح أهمية المقدمة ومهارة الكاتب في التقديم لرسائله »[4].

تتكون المقدمة من العناصر التالية :

- **البسملة :**

منذ العصر الجاهلي خصت الرسائل في افتتاحاتها بعبارات معينة ، وذلك تبركا وتيمنا وكانت عبارة " باسمك اللهم " أشهر ما أثر على عرب الجاهلية التي اعتمدوها في مكاتباتهم ، استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في أول البعثة « حتى نزلت ﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله ﴾ [5] ، فكتب باسم الله . حتى نزلت ﴿ قل ادعـوا الله أو ادعوا الرحمن

---

[1] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث هجري ، مرجع سابق ص 469

[2] . أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ج 1، المرجع السابق ، ص 38

[3] . المرجع نفسه ، ص 39

[4] . عبد الرحمن عطاء المنان ، الخطابة في عصر بني أمية ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، 2002 ، ص 172

[5] . سورة هود ، الآية [41]

﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[1] فكتب بسم الله الرحمن ، حتى نزلت ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[2] أثبتوها لقوله عز وجل ﴿ اقرأ باسم ربك﴾ [3] »[4] .

فأضحت بذلك « سنة كتابية يعرض الكتاب على الاقتداء بها في أوائل رسائلهم قبل الولوج في العنصر اللاحق من عناصر البناء »[5] .

انقسم الكتاب في قضية افتتاح مراسلاتهم بالبسملة إلى ثلاث اتجاهات هم :

– الاتجاه الأول : يرى ضرورة الالتزام بالبسملة في صدور مكاتباتهم باعتبارها سنة نبوية شريفة اقتداء به صلى الله عليه وسلم ، واستبشارا بما تحمله من أسماء الله سبحانه وتعالى .

– الاتجاه الثاني : رأى أصحابه بعدم الالتزام بذكر البسملة ، ويدعون إلى الدخول المباشر في صلب الموضوع ، في دعوة منهم إلى الثورة على المنهج الشكلي القديم الذي ابتدعه الأوائل .

– الاتجاه الثالث : كان رواده وسطيين ، بحيث جمعوا بين الاتجاهين الأول والثاني فيلتزم الكاتب بالبسملة أو يتركها حسب طبيعة الموضوع الذي تعالجه الرسالة ، وكذا الحالة الشعورية لكاتب الرسالة ساعة إنشائها .

« كانت البسملة تطرد اطرادا لافتا في المراسلات الديوانية التي تعالج أمورا خطيرة كالمنشورات ، والمبايعات ، والمخالعات ، والأمانات ، والعهود ...إلخ »[6] .

- **الدعاء :**

---

[1] . سورة الإسراء ، الآية [110]

[2] . سورة النمل ، الآية [30]

[3] . سورة العلق ، الآية [01]

[4] . أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، إحكام صنعة الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، 1966 ، ص 55

[5] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ص 470

[6] . المرجع نفسه ، ص 472

يقول ابن الأثير : « أن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقا من المعنى الذي بني عليه الكتاب ، ...، وهو مما يدل على حذاقة الكاتب وفطانته ...» [1].

- **العنوان :**

اعتمدت الرسائل السياسية رسوما شكلية معينة في بنائها منها العنوان الذي يأتي مباشرة بعد البسملة ـ إذ يذكر اسم المرسل كاملا والمرسل إليه ـ بينما الرسائل الإخوانية لم تعبأ بإثبات العنوان لصيغتها الخاصة البعيدة عن الرسمية .

بينما الرسائل الأدبية المطولة منها خاصة « كانت أبعد أشكال الرسائل الفنية عن إتباع صورة العنوان في البدء »[2] ، يرجع السبب وراء ذلك إلى تطور الرسالة في هذا العصر فلم يعد الأمر متعلقا بمرسل ومرسل إليه كما هو الحال في الرسائل السياسية الاخوانية إذ تعدت الرسائل الأدبية حدود ذلك المصطلح فأصبح مفهومها يطلق على « ذلك النوع الأدبي الذي يعالج المضمون معالجة تجريدية خالصة ، ترتفع به من الخصوص إلى العموم وتحقق الرؤية الكلية المستبصرة ، دون النظر إلى انعقاد طرفي التراسل انعقادا حرفيا »[3] وبالتالي فمنشئ الرسالة الأدبية هو المرسل ، والمتلقي هو المرسل إليه .

- **التحية :**

قبل العصر العباسي كانت تأتي بعد البسملة وذكر العنوان ، مثال ذلك (بسم الله الرحمن الرحيم ، من فلان ابن فلان إلى فلان بن فلان ، سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك أما بعد) [4] ، وهو نفس النمط الذي سار عليه كتاب العصر الإسلامي والأموي وما يشار إليه أن صيغتها اختلف فيها بحسب الغرض الذي كتبت لأجله الرسالة .

أما كتاب الرسائل الأدبية هجروه ، فتحررت بذلك الرسائل الأدبية من هذا العنصر .

---

[1] . ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، مرجع سابق ، ص 96 . 97

[2] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث هجري ، مرجع سابق ص 488

[3] . المرجع نفسه ، ص 488

[4] . المرجع نفسه ، ص 490

- **الحمدلة :**

تطورت صيغها وتعددت أساليبها في هذا العصر خاصة في الرسائل السياسة المرتبطة بالديوان ، غير أن الرسائل الاخوانية والأدبية مال كتابها إلى الاستغناء عنها باعتبارها من العناصر البنائية التي تلتزم بها الرسائل الديوانية ذات الصبغة الرسمية .

- **الصلاة على النبي :**

يقول القلقشندي : « لا نزاع في ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة في الجملة ، وناهيك في ذلك قوله تعالى في محكم التنزيل : [إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] [1] والأحاديث الواردة في الحث على ذلك أكثر من تحصر ، فناسب أن تكون في أوائل الكتب ، تيمنا وبركة »[2].

- **التخلص :**

يعد حسن التخلص أحد أركان الكتابة ، يقول ابن الأثير في هذا الباب : « أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة ، لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضبة ، وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب والشاعر »[3] .غير أن للناثر الحرية في اختيار ما يناسب نثره من أساليب التخلص يقول في ذلك الجوهري : « وأما الناثر فإنه مطلق العنان يمضي حيث يشاء فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر » [4].

فالتخلص عبارة عن وسيلة من خلالها ينقل الكاتب أو المترسل متلقي الرسالة أو الكتاب من المقدمة التمهيدية إلى الغرض الذي من ورائه كتبت الرسالة .

إن اختلاف وظائف الافتتاح وأنواع الخطاب في متن الرسالة هي من تفرض على الكتاب طريقة الخروج المناسبة من الافتتاح إلى المتن ، فالرسائل التي تستقل مقدمتها عن متنها من ناحية التركيب مثال : « مقدمات سائر الآثار الإبداعية التي يرمي فيها الكتاب

---

[1] . سورة الأحزاب ، الآية [56]

[2] . أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 6 ، مرجع سابق، ص 227

[3] . ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، مرجع سابق ، ص 97

[4] . أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ج 1 ، مرجع سابق ، ص 37

إلى تقديم الأثر وتعريف القارئ بمنهجه في الكتاب ، وتبرير اختيار الموضوع الذي يكتب فيه ، وغير ذلك من العناصر التقديمية التي كان ابن المقفع رائدا من رواد كتابتها ، في مقدمة كليلة ودمنة والتي كان للجاحظ دور تأصيلها في مقدمة بخلاء الجاحظ »[1] ، بينما الرسائل الموجهة للخطاب والتأثير والإقناع واستمالة القارئ نجد متنها شديد الصلة بمقدمتها.

وتعد عبارة ((أما بعد)) أشهر صيغة جاءت للفصل بين فاتحة الرسالة ومضمونها وقد توارثها الكتاب منذ العصر الجاهلي ، وسار كتاب العصر العباسي على هذا النحو في مكاتباتهم ، يقول العسكري : « وكان الناس فيما مضى يستعملون في أول فصول الرسائل ((أما بعد)) وقد تركها اليوم جماعة من الكتاب ، فلا يكادون يستعملونها في شيء من كتبهم »[2].

وكما أن الكتاب لم يلتزموا بتضمين مقدماتهم بالعناصر السابق ذكرها ، هناك من الكتاب استغنوا عن المقدمات في رسائلهم ، يقول بن رمضان : « ونلاحظ أن أغلب الكتاب استغنوا في رسائل الهجاء والعتاب عن المقدمات ، ولا نجد إلا نماذج معدودات استلهمها أصحابها بمقدمات عامة فصاغوا بعض المعاني الهجائية في أسلوب حكمي »[3].

غير أن كتاب القرن الرابع هجري لم يعتمدوا صيغة موحدة في رسائلهم ، بل « أخذوا يجرون على فطرتهم في تخير البدايات فمنهم من يبتدئ ببيت من الشعر أو حكمة مأثورة ، أو مثل معروف ، أو قصة صغيرة ، ثم يدخل في الموضوع مباشرة من غير أن يتقدمه بشئ »[4] ، إلا في كتاباتهم التي يخاطبون بها الوزراء أو الأمراء يراعون فيها القواعد المتعارف عليها ، بل يبدؤون بعبارات المجاملة والتنميق .

---

[1] . صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم ، مشروع قراءة شعرية ، مرجع سابق ص 317

[2] . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين ، تحقيق ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط 2 ، ص 165

[3] . صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة، مرجع سابق ، 310

[4] . زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع هجري ، مرجع سابق ، ص 110

ب ـ المضمون :

هو الغرض الذي تنشأ الرسالة بسببه ، و هو صلب الرسالة ، وأهم جزء فيها « يعمد الكاتب إلى بسط آرائه ورؤاه في القضية التي يرى أهمية تناولها ، وفي هذا الجزء تبدو ملامح قدرة الكاتب الفنية على عرض موضوعه عرضا منطقيا مقنعا » [1] .

فالمضمون هو الذي من خلاله يتم الحكم على مدى إبداع الكاتب وقدرته في توظيف الأدوات الفنية المحققة للمتعة للمتلقي والتأثير فيه ، وحتى يتم ذلك لابد من ترابط لجزئيات مضمون الرسالة ، وهذا المضمون لابد أن يتنوع ، فقد شهدت الرسائل في العصر العباسي تنوعا غير مسبوق بسبب تأثر هذا النمط الفني بعوامل شتى فتحت أذهان المنشئين على مضامين لم يسبقهم الأولون للتطرق إليها ، والسبب في ذلك الانفتاح الفكري والقدرات العقلية التي أصبحت أكثر تطورا وجاهزية للتجديد وللعلم ، وانفتحت على تقبل الآخر وأفكاره فتسابق كتاب الرسائل في ابتكار موضوعات جديدة و مختلفة الأغراض .

وقد مس هذا التطور مختلف الرسائل الفنية خاصة منها الأدبية التي تنوعت مضامينها ، فتلونت بالأغراض الشعرية المعروفة من مدح ورثاء وهجاء ووصف ، لتبرز لنا الأشكال التعبيرية « التي تلبستها الرسائل كالمناظرات ، والمفاخرات ، والمخارجات شاهدا مقابلا على تباين أشكال التعبير التي كانت تحتذيها الرسائل الأدبية في هذا العصر »[2] .

وما يشار إليه أنه يجب أن تكون موضوعات الرسائل واضحة متماسكة مرتبة الأفكار مقسمة إلى أقسام مستقلة الأفكار ، مع مراعاة الوحدة الموضوعية ، حيث سعى كتاب الرسائل في هذا العصر إلى تحقيقها من خلال التكافؤ بين الألفاظ وما تحمله في طياتها من معان .

---

[1] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ص 512

[2] . المرجع نفسه ، ص 517

كما أنه لابد من مراعاة « حسن التأليف وجودة التركيب ، وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا ، ...، وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها ، وتمكن في أماكنها ، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير ، والحذف والزيادة إلا حذفا لا يفسد الكلام ولا يعمي المعنى ، وتضم كل لفظة منها إلى شكلها ، وتضاف إلى لفقها »[1] .

فمن المستحسن التجديد في اختيار الألفاظ على أن لا تكون من الغريب عن المألوف يوضح ابن الأثير ذلك بقوله : « أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلولقة بكثرة الاستعمال ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظا غريبة ، فإن ذلك عيب فاحش ، بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا ، يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس ، وهي مما في أيدي الناس . وهناك معترك الفصاحة الذي تظهر فيه الخواطر براعتها ، والأقلام شجاعتها » [2].

ج ـ الخاتمة :

« هي آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس ، فإن كان مختارا جبر ما عساه وقـــع فيما قبله من التقصير، وإذا كان غير مختار كان بخلاف ذلك وربما أنسى محاسن ما قبله »[3] .

ويجب أن تكون الخاتمة حاملة خلاصة مضمون الرسالة ، وأن تكون مميزة عن سائر الكلام ، وأن تكون قوية مؤثرة واضحة ، خالية من التعقيد ، وأن تكون مختصرة وأن تكون في تناسق مع ما سبقها من عناصر ، يقول محمد زكي عبد السلام : « ومن تمام البلاغة في الرسائل أن ينسق الكاتب بين المطالع والخواتيم وما يعرض بينهما من موضوعات »[4] .

---

[1] . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين ، تحقيق ، علي محمد البجاوي ، مرجع سابق ص 167

[2] . ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قدمه وعلق عليه ، أحمد الحوفي ، مرجع سابق ص 97

[3] . الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ج 6 ، شرحه محمد عبد المنعم خفاجي ، دار إحياء الكتب العربية ط 2 ، 1372 هـ . 1953 ، ص 155

[4] . محمد زكي عبد السلام ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، دار التأليف المصرية ، 1934 ، ص 135

وقد عنى العباسيون بخاتمة رسائلهم كاعتنائهم بالمقدمة فكما أن المقدمة الهدف منها تهيئة المتلقي لمواصلة قراءة الرسالة وشد انتباهه لها ، فالخاتمة « وسيلة فنية يجلبها الكاتب للتخلص من موضوعه تخلصا ريِّضا يَّذَرُ المخاطب متعاطفا مع ما بثه في صلب رسالته من قضايا وآراء »[1] .

-1 الذيل :

يكون في الرسائل الديوانية يحدد من خلالها اسم الكاتب والتاريخ والشهود .

02 ـ ظواهر الأسلوب :

عرف فن الترسل تطورا فكريا وسياسيا وأسلوبيا خلال العصر العباسي ، وتحديدا القرنين الثالث والرابع هجري ، ويمكن تقسيم مراحل تكوينه إلى أربع مراحل، كل مرحلة تميزت بأفكار وأساليب مختلفة عن بعضها بعضا ، واتجاهات متمايزة فيما بينها ، ولكل اتجاه منها إمام يضبط أسسها « فالطبقة الأولى يتزعمها ابن المقفع بطريقته الخاصة في الآداب ومن ساروا على دربه ، ...، والطبقة الثانية يتزعمها الجاحظ بأسلوبه المتفرد ...، والطبقة الثالثة يتزعمها ابن العميد ومن تأثروا بطريقته ، والطبقة الرابعة يتزعمها القاضي الفاضل ومن حذا حذوه ... »[2] .

و الأسلوب هو نمط الكاتب أو الأديب الذي ينتهجه في تناول موضوعه ، فهو يختار طريقة في استخدام اللغة المناسبة وسبك العبارة الجزلة .

وهو من فنون الكلام يتأتى إما حوارا أو قصصا ، أو تشبيها أو مجازا ، أو كناية فكلما كان الكاتب متمكنا في هذا الجانب كان أسلوبه أكثر تأثيرا ، وتجاوز عنصر اللفظ إلى عمق المعنى ، و « يختلف الأسلوب باختلاف طريقة الأديب وتعبيره تبعا لموهبته وثقافته ، ويمتاز الأسلوب بصورة عامة بأنه يمتزج فيه الفكر مع العاطفة للإقناع والتأثير»[3] .

---

[1] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث للهجرة ، ص 523

[2] . زينة عبد الجبار محمد المسعودي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع هجري ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، العراق ، ط 1 ، 1430 هـ . 2009 م ، ص 15

[3] . أحمد الشايب ، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 1991 ، ص 41

تختلف ظواهر الأسلوب في الرسائل الفنية بصفة عامة وفي الرسائل الأدبية بصفة خاصة ، وذلك حسب الغرض الذي تتطرق إليه ، وتتمثل تلك المظاهر في :

أ ـ الأثر الإسلامي و الأثر التراثي :

***ـ الأثر الإسلامي :**

تجلت مظاهر الأثر الإسلامي بشكل واضح في أغلب مضامين الرسائل العباسية سواء كانت سياسيةّ أم إخوانيةّ أم أدبية ، حيث يوشيها كتابها بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بسبب البيئة الإسلامية التي نشئوا فيها ، وأدى « استفحال ظاهرة التأثر بالقرآن الكريم إلى توسع الكتاب في ابتداع أساليب فنية جديدة يتوسلون بها إلى تحقيق الغاية من توظيف النص القرآني بصورة تلائم معطيات السياق الأدبي »[1] .

بل وجودها يعتبره ابن الأثير ركن من الأركان التي تبنى عليها الرسالة حيث يقول : « أن لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم والأخبار النبوية فإنها معدن الفصاحة والبلاغة »[2] ، فللقرآن بالغ الأثر في تقويم اللسان وتهذيب البيان ، لذلك كان العرب قديما وعلى مر العصور يتمثلون به ويقتبسون منه .

وأغلب كتاب العصر العباسي زينوا رسائلهم ببعض الآيات سواء بذكرها بصورة صريحة أو بالأخذ من معناها ، ويظهر بشكل واضح في الرسائل السياسية ويقل في الرسائل الإخوانية والأدبية إلا أنها لا تخلو منه .

أدرك الكتاب في هذين العصرين وما سبقهما من الإمكانيات الفنية الهائلة التي تضمنها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف التي تساعدهم في إبراز فكرتهم ، وفي التعبير عن رؤاهم من خلال الاستفادة من التقنيات الأسلوبية لهذين الموردين ، وجعلوا القرآن الكريم في المرتبة الأولى لأنه الأكمل ، وبفضل ذلك ابتدعوا أساليب فنية جديدة لتوظيف النص القرآني بما يتلاءم والسياق الأدبي ، فاعتمدوا اخذ الآيات القرآنية بنصها ووظفوها توظيفا مناسبا لمناسبة النص ، وهو اقتباس مباشر وصريح ، والبعض منهم

---

[1] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ص 545

[2] . ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، مرجع سابق ، ص 99

اعتمد استعمال الأسلوب الغير مباشر أو التحوير « وهو تقنية فنية يدخل بها الكاتب على النص القرآني مجريا عليه بعض التغييرات التي تجعله ملائما للسياق الأدبي »[1] كتغيير الضمائر ، أو النقل من الافراد إلى الجمع ، أو من الغائب إلى الحاضر ....،إلخ أو إدخال عبارات ملائمة تزيد من قيمة النص في نفس القاريء لزيادة إيضاح الفكرة وإتمامها ، وقد يحجب أجزا النص القرآني المستعار على نحو لا يحسه القارئ العادي إلا إذا كان عارفا بالنص المستعار ، كما قد يقدم ويؤخر بشكل لا يضر بالمعنى المتضمن للنص القرآني المستعار .

إلى جانب تضمينهم رسائلهم بالقصص القرآني فوظفوها في سياقات جديدة من إبداعهم شكلت القصة رافدا مهما استمدوا منه مواقف كثيرة ومعبرة .

***. الأثر التراثي :**

يعد العصر العباسي عصر بعث التراث وإحيائه ، تأثر فيه العباسيون بالتراث الشعري من العصر الجاهلي دون إهمال زمانهم ، وما سبقهم من إسلامي وأموي ، الكاتب كان يوظف منتـــوج الزمان الذي سبق عصره أو ما أنتج في زمانـــه ، لإثـــراء فكرتـه وتقويتها ، وهو الأمر الذي ساعدهم في التعبير عما يجول بخواطرهم في أبهى صورة فاستشهدوا بالشعر ، وأكثروا خاصة كتاب القرن الخامس يتقدمهم القاضي الفاضل الذي تفنن في هذا المجال ، وقد يضمن الكاتب كتابه البيت وبالبيتين ، أو شطرا واحدا ليبدو الكلام جزء واحد غير مقطوع من السياق ، وقد يأتي بشطر وشطر ثاني من عنده بما يتناسب المعنى المعبر عنه ، ويرى الدروبي أن الكتاب « تعلقوا بألفاظ الشعراء وصورهم ومعانيهم ، وبدو للناظر أن محفوظ الكاتب من التراث الشعري كان كثيرا ما يزاحم حتى يجد له مكانا في الرسالة ، حتى لو كان هذا الأثر مجرد ألفاظ يختلسها الكاتب من شعر غيره بطريقة عفوية »[2] .

---

[1] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مرجع سابق ص 558

[2] . المرجع نفسه ، ص 570

فالتراث العربي القديم ـ سواء كان شعرا أو حكما وأمثالا ، ومختلف المرويات ـ بداية من العصر الجاهلي شكل المورد الثقافي للكتاب والمترسلين في العصر العباسي ، الذين زخرفوا رسائلهم بمختلف تلك الآثار ، وانتقوا منها ما يناسب موضوعاتهم من ارث ثقافي بل إنهم أخذوا ينتقون من إبداعات معاصريهم ، كما أشاروا إلى قصص الأنبياء والأحداث والأعلام المشهورة ، وأخذوا من الثقافات الأخرى التي انفتحوا عليها كاليونانية والفارسية ، من فلسفة وعلم الفلك ، والتنجيم ، والطب ، ونراه بشكل واضح في رسائل كتاب القرن الرابع هجري مثل العميد ، والصاحب بن عباد ، والتوحيدي وغيرهم ، فتراهم أحيانا يستشهدون بأبيات شعرية ، وأحيانا بمثل أو حكمة مشهورة أو غيرها من فنون القول فهم بذلك يغذون فكرتهم ويزيدونها جمالا ووضوحا ما يؤثر في نفس سامعها أو متلقيها.

كما أن كتاب هذين العصرين كانوا مولعين بحل الشعر خاصة القديم « لا يرون معنى بديعا ، ولا خيالا طريفا إلا اقتبسوه وأضافوه إلى ثروتهم النثرية »[1] ، سواء لشعراء من عصرهم ، أو شعراء الأزمنة التي سبقتهم ، يقول زكي مبارك في ذلك : « وكانوا كذلك يغيرون على شعراء عصرهم فيأخذون معانيه الجيدة كما فعل الصابي والخوارزمي وابن العميد »[2].

المهتمون بأدب الكتاب عدوا « إدراج الشواهد المحفوظة من القرآن والشعر والخطب والرسائل ركنا من أركان صناعة الكتابة ، بل إن بعضهم بوأ هذه الظاهرة الإنشائية محل الصدارة في صناعة الترسل ، وقد اكتمل هذا التصور عند ابن الأثير ، فهو يقول في باب الطريق إلى تعلم الكتابة : ولقد مارست الكتابة (...) فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا حل آيات القرآن الكريم ، والأخبار النبوية ، وحل الأبيات الشعرية »[3] ، يضيف بن

---

[1] . زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع هجري ، مرجع سابق ، ص 176

[2] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[3] . صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم ، مشروع قراءة شعرية ، مرجع سابق ص 413

رمضان : « وقد تفطن القدامى إلى دور التفاعل بين النصوص في تجديد الكتابة وإثراء الإبداع ، وأدركوا أن هذه الظاهرة متشعبة متعددة المستويات »[1].

ج ـ التلوين الفني :

طبقات المترسلين خلال العصر العباسي تمايزت أساليبها واختلفت ، فمترسلو الطبقة الأولى « كان أسلوبهم حر فهو أسلوب الكتابة الطبيعي الذي لا ينوء بقيود السجع أو الازدواج أو صيغ البديع ويقف على رأس الترسل الحر في النثر أمثال ابن المقفع في معظم نثره ، وأحمد بن يوسف الكاتب وعمر بن مسعدة » [2] ، لتأتي الطبقة الثانية لتدلي بدلوها من حيث التجديد في الأسلوب « والتي نشأ فيها مذهب النثر المتوازن أو المزدوج وهو تطور ناضج لمذهب النثر المرسل ، ويميز هذا المذهب عنايته بتصنيع الكلام وتهذيبه ، ويهتم بالملاءمات الوزنية ، بين فواصل الفقرات في الجمل في الحد الأدنى وقد يتجاوز ذلك إلى الملاءمة بين طول الفقرات والملاءمات الوزنية الداخلية في الجملة الإنشائية بهدف إشاعة التلوين الصوتي في النص الأدبي ، ويبلغ هذا النثر ذروته على يد عمرو بن بحر الجاحظ » [3] ، حيث مال مترسلو المذهب الثاني ـ مترسلو القرن الثالث هجري ـ إلى « استعمال الأسلوب المرسل والمتوازي والمسجوع على نحو يشي بأن الالتزام بمدرسة فنية لم يكن في هذا العصر يعني حظر الخروج إلى طرائق أسلوبية أخرى »[4] .

لتأتي الطبقة الثالثة وتواصل التجديد في هذا الميدان ، فمترسلوها هم أهل « مذهب السجع و وتصنيع البديع ، ويتطرق عشاق هذا المذهب في تصنيع السجع والمحسنات

---

[1] . صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم ، مشروع قراءة شعرية ، مرجع سابق ص 417

[2]. زينة عبد الجبار محمد المسعودي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع هجري ، مرجع سابق ص 15

[3] . المرجع نفسه ، ص 15. 16

[4] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، مرجع سابق ص 582

البديعية »[1] ، وهم كتاب القرن الرابع هجري ، « ومن أعلام النثر المسجوع في هذا القرن (ابن العميد ، والخوارزمي ، وأبي إسحاق الصابي ، والصاحب بن عباد ، وبديع الزمان الهمذاني »[2] .

والذي يهمنا من المراحل هما المرحلتين الثالثة والرابعة ، والتي تنتميان للقرنين الثالث والرابع هجري .

يعود الفضل لسهل بن هارون في الإضافة الإبداعية المتفردة لمدرسة النثر المزدوج التي ظهرت على يد عبد الحميد « في الإطناب والمزاوجة ، وزاد عليها سهل أسلوب التوازن والازدواج ، وزاده أكثر الجاحظ بجانب الفكاهة الساخرة وتوليد المعاني »[3] .

وللدراسة الفنية بنية معينة فهي تضم عناصر تتوفر في النص لتبين قيمته ، تتمثل في :

* . **الألفاظ والمعاني :**

اللفظ والمعنى من عناصر تمام البلاغة ، والتأليف بينهما يمنح الكلام قوة التأثير فالألفاظ هي وسيلة الكاتب في تصوير أفكاره وما يختلج نفسه من معاني فسعيه لإظهارها أو في إبدائه موقفا ما سواء من السامع أو القارئ ، وقد تضعف ناحية من هذه النواحي أو يخفق الكاتب فيها ، فالألفاظ هي الأداء لكل هذا فهي الثياب التي تتجلى فيها المعاني ، أو هي الرموز لكل ذلك " [4] .

يقول الجاحظ : « ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيرا من جنسه ، وكان سليما في الفضول ، بريئا من التعقيد حبب إلى النفوس ، واتصل بالأذهان ، والتحم

---

[1] . زينة عبد الجبار محمد المسعودي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع هجري ، مرجع سابق ص 16

[2] . المرجع نفسه ص 64

[3] . المرجع نفسه ، ص 49

[4] . عبد الحميد حسين ، الأصول الفنية للأدب، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 2 ، 1964 ، ص 59

بالعقول وهشت إليه الأسماع ، وارتاحت إليه القلوب ، وخف على ألسن الرواة ، وشاع في الآفاق ذكره ، وعظم في الناس خطره » [1] .

وعليه وجب اختيار الألفاظ التي توضح المعنى وتبعده عن الغموض ، كما يجب العناية بترتيب الألفاظ والعبارات لتتضح المعاني ويصل الهدف من الرسالة إلى متلقيها .

و « لابد أن يكون هناك توافق بين الألفاظ والمعاني حتى لا يكون اللفظ كالثوب المستعار يتعثر فيه المعنى وتبدو عليه مظاهر يمجها الذوق وفقدان التوازن ينشأ عنه الإسراف في سرد ألفاظ تعد من غلو القول فيصبح المعنى حائرا ، وقد تضيع معالمه وسط الزحــام اللفظي » [2] .

بصفة عامة تمتاز الألفاظ في العصر العباسي بالقوة والجزالة مع تمايزها فيما بينها بحسب اختلاف المواضيع هذا ما يراعيه الكاتب في اختيار المناسب منها لموضوعه .

***ـ السجع والتوازن :**

يقول شوقي ضيف : « وكأن السجع أصبح لغة جميع الرسائل منذ أوائل القرن الرابع للهجرة ، بلمع أواخر القرن الثالث ، فليس هناك كاتب إلا ويسجع ، وإن فاته السجع في مكان من رسالته عاد إليه في الأمكنة الأخرى » [3] .

يعرف السجع على أنه : « إتحاد الفواصل وزنا ورويا على نسق القافية مأخوذا من سجع الناقة ، إذا أطربت في حنينها ، أو الحمامة إذا رجعت في هديلها ، وتسمى بذلك لتماثل فواصله أو رويها فأشبه بذلك الترجيع ، يقول أحد الشعراء :

أأن سجعت ورقاء في رونق الضحى على فنن غصن البنان من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ، ولم تكن جليدا وأبديت الذي لم تكن تبدي »[4].

---

[1] . عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح ، عبد السلام محمد هارون، ج 2 ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 7 ، 1418 هـ . 1998 ، ص 8

[2] . عبد الحميد حسين ، الأصول الفنية للأدب ، مرجع سابق ، ص 210

[3] . شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، مرجع سابق ، ص 561

[4] . محمد نبيه حجاب ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب ، مرجع سابق ، ص 160

والسجع هو « أحد الجوانب المهمة في التصنيع وزخرف الأساليب أخذ في الظهور منذ بداية القرن الثاني هجري في مكاتبات بني العباس ، ثم اتسع استخدامه في القرن الثالث الهجري ، وهو يكون مقبولا إذا جاء من غير قصد أو افتعال ، وإلا كان فيه التكلف والصنعة فإذا سلم السجع من التكلف وبرئ من العيوب لم يكن في جموع صنوف الكلام أحسن منه .

وظاهرة السجع موجودة منذ العصر الجاهلي ، غير أنه في القرن الرابع هجري أصبح صنعة محكمة ، تبارى الكتاب في صنعته بل وضعت له شروط للقوة والضعف ، وخير من يمثل هذه المدرسة " ابن العميد " ، يقول زكي مبارك مبينا مدى تمكن كتاب هذا العصر من لغتهم في محاولته الدفاع عن المتمسكين بالصنعة : «.. ولكن أليس لهذا الزخرف قيمة في فهم ذلك العصر ؟ » ، ويجيب : « بلى إنه يدلنا على أن أولئك الناس عرفوا لغتهم معرفة جيدة ، ووقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها »[1] .

بل أصبح السجع « شرطا من شروط الترسل ، وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية في إتقانه ، فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها أكثر من غير المسجعة ، والسجع إذا أتقنت صياغته أكسب المعنى قوة ، وقد أتقنه الكتاب في هذا العصر ، إلا أن بعضهم قد كلفوا به من غير مقدرة فجاء باردا »[2] .

ومن الأسباب التي أدت إلى تطور السجع في هذا القرن هو ما شهده من تطور في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية وانعكاسها على الحياة الثقافية والأدبية يوضح ذلك علي حب الله بقوله: « إن بروز الإرادة السياسية في توجيه الأدب وتفعيله إلى جانب ميل الحياة الاجتماعية إلى الزخرفة والتنميق ظهر ذلك في زخرفة ثيابهم وتذويق بيوتهم ودورهم ومجالس ضيافتهم ، ....، وميل الحكام إلى تشجيع الأدب والتبارز فيه ... »[3].

---

[1] . زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع هجري ، المرجع السابق ، ص 179

[2] . جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 1، مرجع السابق ، ص 269

[3] . علي حب الله ، المقدمة في نقد النثر العربي ، مشروع رؤية جديدة في تقنيات البحث والكتابة ، ط 1 ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1421هـ . 2001 م ، ص 120

والسجع والتوازي متلازمين « ذلك لأن السجع يعني توافق الفاصلتين أو أكثر في القافية ، وهو هنا يكون للكلام وقعه الجميل وللألفاظ المسجوعة ترنيمات ، وتوازنات موسيقية مؤثرة ، وكلما كانت الجمل قصيرة ، والألفاظ قد تحقق فيها السجع والتوازن حصلت الاستجابة ، وبذلك يكون السجع ومعه التوازن أقرب إلى الشعر من حيث الوزن والقافية والسجع والتوازن والازدواج كلها أساليب فنية تعمل على تزيين الكلام بالقدر الذي يسمح به الطبع وتوحي إليه الفطرة»[1] .

ويظهر السجع بشكل حسن في رسائل المحاورات ، والمعارضات ، وهي من الأشكال التعبيرية .

***- التصوير والخيال الأدبي :**

في هذين القرنين خاصة في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع توفر الكثير « من الكتاب والشعراء النابهين الذين استطاعوا أن يبثوا في النثر طاقات جديدة من طرافة التفكير ودقة التعبير »[2].

فإلى جانب أن الكتاب بأساليبهم وفنياتهم وقدراتهم الكتابية الفذة وصلوا بها إلى أعلى المراتب الإدارية من استوزار وإشراف على الدواوين ، أصبح للنثر أيضا « تأثير على وجدان القارئ بما وفر له كتابه العظام من جزالة الألفاظ ورصانتها ومن حسن تلاؤمها في الجرس فالكاتب ما يزال يلائم بين لفظة ولفظة ، بل أحيانا بين حرف وحرف ، حتى يأسر العقول والألباب »[3].

إن التصوير الأدبي من أهم خصائص التعبير الفني « فالعمل الأدبي فن إبداعي محلق في أجواء الخيال ، والخيال أداة التصوير ، وهو العنصر الذي يتيح للأديب أن يؤلف الصور الجديدة المجاوزة حدود المنظورات ، وهذا كله يفضي إلى تحقيق علامة من علامات تميز النص الأدبي عن غيره »[4] .

---

[1] . عبد الرحمن عطاء المنان ، الخطابة في عصر بني أمية ، رسالة دكتوراه ، مرجع سابق ، ص 215

[2] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، مرجع سابق ، ص 562

[1] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[4] . محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث هجري ، مرجع سابق ص 591

أصبحت الرسائل في هذا العصر تشابه الشعر من حيث محاولة إبراز الأفكار في قوالب تصورية ، لإلمام الكتاب بعلوم البلاغة (بيان . بديع ومعاني) ليوصلوا أفكارهم إلى مستقبل الرسالة ، في أسلوب موشى بالعاطفة والخيال ، يختارون في ذلك الألفاظ والمعاني العفوية .

كما أن للخيال « قيمة كبيرة تكمن في تصوير الكاتب للأثر الذي يحس به ، والعمل على إيصاله لذهن القارئ والسامع »[1] .

يتجلى دور الخيال في إبراز المعاني وتقريبها من الواقع كما يساعد على تذوقها وكشف أسرار جمالها ، من خلالها يلجأ الكاتب إلى تحقيق الخيال مستخدما الأساليب البلاغية ، فالتصوير يعمل على بناء التشكيل اللغوي للصورة ، وذلك من خلال « مجاورة مفردات عدة ، تقوم بينها علاقات على نحو ما ، يتحدد من خلالها المعنى الجزئي . كما يقوم بينه وبين المضمون الكلي ارتباط ، وعلاقات » [2].

وما يمكن أن نخرج به هو أن « الغرض من التعبير الأدبي هو قوة التأثير في نفس القارئ أو السامع لتنفعل نفسه بمثل ما انفعلت به نفس الكاتب ، ولكي يتم له بلوغ ذلك لابد من إضافة عنصر الصورة التي يتخيلها ، والتي تبدو له من خلال تشبيهاته الرائعة واستعاراته البارعة ، وكناياته اللطيفة في نسق فني جميل »[3] .

***. الإيجاز والإطناب :**

يعـرف الإيجــاز بأنه « إيضــاح المعنى بأقــل ما يمكن من اللفـظ »[4] ، فهو مطلب بلاغــي عكس الإطناب ، يوضح جعفر بن يحي ذلك بقوله : « إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجـــاز تقصيـــرا ، وإذا كـــان الإيجاز كافيا كان الإكثار هذرا ، فبين ما

[1] . عبد الحميد حسين ، الأصول الفنية للأدب ، مرجع سابق ، ص 100

[2] . عدنان حسين قاسم ، التصوير الشعري ، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر، القاهرة ، 2000، ص 58

[3] . محمد نبيه حجاب ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، مرجع سابق ، ص 88

[4] . محمد يونس عبد العال ، في النثر العربي قضايا وفنون ، مرجع سابق ، ص 43

يحمد مـــن الإيجاز وما يحتــاج إليه من الإكثــار »[1] ، فابــن جعفـر يرى أنه يجـب الإيجـاز متى كان ذلك ضروريـا ، ويقصر متى وجب ذلك أيضا ،فلا يطيل فيمل ولا يـأتي بالاختصار المخـل بل يكون وسطيا .

٭. الاقتباس :

يكون بتضمين الكلام بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية شريفة أو فيما معناها ، ومن شروط الاقتباس عدم ذكر المصدر الذي اقتبس منه .

وقد مال الكتاب في العصر العباسي إلى تزيين رسائلهم ببعض الآيات سواء كان ذلك بذكرها بصورة صريحة أو بالأخذ من معناها .

نجده بشكل واضح في الرسائل السياسية ، إلا أنه يقل في الرسائل الأدبية والاجتماعية إلا أنها لا تخلو منه .

اعتد أدباء العصر العباسي خاصة خلال القرن الثالث هجري وبشكل أكبر القرن الرابع هجري بثقافتهم العربية ، وضمنوا أعمالهم خاصة مكاتباتهم الشعر القديم ، وحتى المحدث ، والأمثال والحكايات الشعبية والاقتباس من القرآن والحديث ، ، كما أشاروا إلى قصص الأنبياء والأحداث ، والأعلام المشهورة ، كما اقتبسوا من الثقافات اليونانية بشكل خاص الفلسفة ، وعلم الفلك ، والتنجيم يتجلى ذلك في رسائل ابن العميد والتوحيدي وغيرهم .

كما اقتبس الكتاب في العصر العباسي الثالث بفترتيه التي تضم جزءا من القرن الثالث والرابع هجري من تراث الأمم الأجنبية التي اطلعوا عليها بعد ترجمتها إلى العربية ، من علوم الفلسفة والمنطق ، وعلم الأخلاق ، والطب ، والرياضيات ، وغيرها من العلوم والمعرف .

[1] . أبو الفرج قدامه بن جعفر ، نقد النثر ، تحقيق ، طه حسين ، عبد الحميد العبادي ، مطبعة الكتب المصرية القاهرة 1351 هـ . 1933 م ، ص 97

لقد كان كتاب هذين القرنين مولعين بحل الشعر خاصة القديم « لا يرون معنى بديعا ولا خيالا طريفا إلا اقتبسوه وأضافوه إلى ثروتهم النثرية »[1] ، سواء لشعراء من عصرهم أو شعراء الأزمنة التي سبقتهم ، يؤكد زكي مبارك ذلك بقوله : « وكانوا كذلك يغيرون على شعـراء عصرهم فيأخذون معانيهم الجيدة كما فعل الصابي ، والخوارزمي وابن العميد »[2] .

وقد « عد المهتمون بأدب الكتاب إدراج الشواهد المحفوظة من القرآن والشعر والخطب والرسائل ركنا من أركان صناعة الكتابة ، بل إن بعضهم بوأ هذه الظاهرة الإنشائية محل الصدارة في صناعة الترسل ، وقد اكتمل هذا التصور عند ابن الأثير فهو يقــول في بــاب الطريق إلى تعلم الكتابـة : (ولقد مارست الكتابة ، ...، فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا جــل آيـــات القــرآن الكريم ، والأخبار النبوية ، وحل الأبيات الشعرية) »[3].

« وقد تفطن القدماء إلى دور التفاعل بين النصوص في تجديد الكتابة وإثراء الإبداع وأدركوا أن هذه الظاهرة متشعبة متعددة المستويات »[4] .

وخلاصة قولنا:

الرسائل الأدبية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري تنوعت بين أغراض أدبية (مدح هجاء ، رثاء ،...) وأشكال تعبيرية ، وتميزت بقالب فني يكاد يكون موحدا من حيث شكلها العام المتكون من مقدمة ومتن وخاتمة ، وتتباين العناصر المشكلة للعناصر الثلاث الأساسية .

وإلى جوانب مظاهر الشكل هناك مظاهر أسلوبية تتميز بها الرسائل الأدبية من أثر إسلامي وتراثي ، وتلوين فني ، وقد تشابهت فيما بينها لكن رسائل القرن الرابع هجري تميزت بارتكاز كتابها على السجع بشكل أكبر .

---

[1] ـ زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع هجري ، مرجع سابق ، ص 176

[2] . المرجع نفسه ، ص 176

[3] . صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم ، مشروع قراءة شعرية ، مرجع سابق ص 413

[4] . المرجع نفسه ، ص 417

الفصل الأول ـــــــ

الفصل الثانـي

(التطبيقي)

البنية والخصائص الفنية في الرسائل الأدبية خلال القرنين الثالث والرابع هجري

أولا : خصائص الترسل في القرن الثالث هجري ، دراسة رسالتين للجاحظ وسهل بن هارون ـ نموذجا ـ

01 . خصائص الترسل في القرن الثالث هجري

02 . رسالة صناعة القواد للجاحظ

03 . رسالة أفضلية الزجاج على الذهب لسهل بن هارون

ثانيا: خصائص الترسل في القرن الرابع هجري ، دراسة رسالة لابن العميد ـ نموذجا ـ

01 . خصائص الترسل في القرن الرابع هجري

02 . رسالة حول وصف شهر رمضان لابن العميد ـ نموذجا ـ

ـ تمهيد حول البنية الفنية للنص الأدبي :

يتميز العمل الفني الأدبي بخصوصية بنائية معينة تحددها طبيعته ، هذا البناء من خلاله يتم الدراسة الهيكلية المشكلة له للوصول إلى عمقه من حيث الشكل والمضمون .

ولدراسة البنية الفنية للرسائل لابد من فهم المصطلح لغة واصطلاحا، فالمفهوم اللغوي لكلمة بنية مشتقة من الفعل بنى ، جاء في القاموس المحيط : « البني نقيض الهدم ، بناه يبنيه بنيا وبناء وبنيانا ، وبنية ، وبناية ، وابتنـاه ، وبنَّاه ، والبناء : المبنى ، ج أبنية أبنيـات ، والبنيـة ، بالضـم والكسـر : ما بنيته ، ج : البِنى، والبُنى ، وتكون البناية في الشرف ، ...، وأبنيته : أعطيته بناء أو ما يبني به دارا »[1] .

وأورده ابن منظـور في لسانـه حيـث يقول : « البنـاء : المبنى ، والجمع أبنيـة وأبنيـات ، ...، والبناء مدبر البنيان وصانعه ، ...، والبناء لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من السكون أو الحركة لا لشيء أحدث ذلك من العوامل ، وكأنهم إنما سموه بناء لأنه لما لزم ضربا واحدا فلم يتغير تغير الإعراب ، سمي بناء من حيث كـان البناء لازمـا موضعا لا يـزول من مكان إلى غيـره ، وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتذلة كالخيمة والمظلة والفسطاط ، والسرادق ، ونحو ذلك ..»[2] .

أما اصطلاحا فقد استخدمت في اللغات الأوروبية القديمة وكانت تدل على « الشكل الذي يشيد به مبنى ما ، ثم لم تلبث أن اتسعت لتشمل الطريقة التي تتكيف بها الأجزاء لتكون كلا ما ، سواء كان جسما حيا أو معدنيا ، أو قولا لغويا »[3] .

فالبنية بشكل عام كما يورده صلاح فضل هي :« كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ، ولا يمكنه أن يكون هو إلا بفضل علاقته بما عداه »[1].

---

[1] . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق ، أبو الوفا نصر الهوريني المصري مراجعة أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد ، دار الحديث القاهرة ، 1429 هـ . 2008 ، ص 165

[2] . ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ضبطه خالد رشيد القاضي مج 1 ، دار الأبحاث ، ط 1، الجزائر ، 2008 ، ص 492

[3] . صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الشروق، مصر ، ط 1 ، 1419 هـ . 1998 م ، ص 120 . 121

مما تقدم البنية عبارة عن مجموعة متشابكة من العلاقات ، هذه العلاقات تتوقف فيها الأجزاء والعناصر على بعضها البعض من ناحية ، وعلى علاقتها بالكل من ناحية أخرى

والبناء الفني في العمل الأدبي يتشكل أساسا تشكيليا وجماليا من أسس العمل ، إذ أن العمل الفني هو في الأساس عبارة عن بناء فني ، وكل عمل أدبي له خصوصية معينة تحكم بناءه ملائم لطبيعته ، فالبناء الفني في النثر يختلف عن البناء في الشعر ، وبناء القصة يختلف عن بناء الرسالة الأدبية ، وهكذا .

فالدارس للنص يدرس البنية الفنية وهي استخراج عناصره الأساسية مثل الوزن والقافية إن كان شعرا، والمقدمة والعرض والخاتمة في المقال ، والشخصيات والأحداث والزمان والمكان في القصة ، فلكل عمل أدبي عناصره الأساسية .

بينما بنية المعنى فهي تتمحور حول موضوع النص وفكرته العامة ، والبنية البلاغية يدرس من خلالها الإيقاع الموسيقي لحروف النص ، صور الخيال ، وشرحها ، نظام الجمل والتراكيب .

وحتى نتمكن من الوصول إلى دراسة شاملة لبنية النصوص المختارة لابد من إتباع آليات التحليل الصحيحة ويكون ذلك بمعرفة حياة المؤلف والزمان الذي عاش فيه فمعرفة البئية تساعد على فهم رؤية الكاتب ، والهدف من إيجاده للعمل الأدبي .

[1] . صلاح فضل نظرية البنائية في النقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص 121

أولا ـ مميزات وخصائص بنية الرسالة الأدبية في القرن الثالث هجري

دراسة رسالة للجاحظ ورسالة سهل بن هارون ـ نموذجا .

01 ـ خصائص الترسل في القرن الثالث الهجري :

امتاز القرن الثالث هجري بمجموعة من الخصائص ظهرت في أسلوب كبار مترسلي هذا القرن أمثال الجاحظ ومن سار على نهجه ، وهي :

ـ الازدواج والإطناب ، وهي من المميزات التي جاء بها الجاحظ .

ـ اتخذ كتاب العصر الثالث « أسلوب التأنق ، واستيفاء المعنى باستقصاء أجزائه وتقطيع الكلام إلى فقرات مرسلة ومسجعة ، والاستطراد إلى الأخبار والنوادر ،والتراجم والإكثار من الشواهد الشعرية ، ومأثور الكلام كما نرى ذلك في أسلوب الجاحظ »[1] .

ـ انحسار دور الشعر، وظهور شكوى الشعراء من ذهاب الشعر بذهاب الخلفاء والأمراء الذين كانوا يعرفون قدره ، ويقدمون قائليه على سواهم .

ـ كثرة ذكر المعاني الفلسفية و تعابيرها لتفشي علوم دخيلة على الفكر العربي وعلى المسلمين على أثر ترجمة الكتب في العصر العباسي الأول ، وظهر جماعة من الشعراء عدوا من الفلاسفة لتغلب العلوم الطبيعية على نفوسهم ، غير أن شعراء العصر الذي تلاه كانت آراؤهم الفلسفية أكثر نضجا .

« نبغت طبقة من الكتاب انتقدوا الشعر وروايته »[2] ، وقد كانوا في العصر الذي سبقه ينقلون ولا يمحصون وفي هذا العصر صاروا يتدبرون ما نقلوه ويقومون بنقده خاصة بعد اطلاعهم على كتاب أرسطو في نقد الشعر .

ومن مميزات الإنشاء في القرن الثالث هجري :

---

[1] . ناظم رشيد ، الأدب العربي في العصر العباسي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، العراق ، 1410 . 1989 م ، ص 152

[2] . جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 2 ، المرجع نفسه ، ص 558

ـ تقطيع العبارة ، وهي من خصائص كتابة الجاحظ الذي « جعل الجملة قطعا صغيرة كالشعر لكن بدون وزن ولا قافية ، أو هو سجع لا تشترط فيه القافية »[1].

ـ إدخال الدعاء فيها بصيغة المخاطب ، وهي من الأساليب المنسوبة إلى الجاحظ أيضا .

ـ النزوع إلى التكرار ضنا منهم أنه « أكثر إبلاغا للمعنى وأشد تأثيرا في النفس »[2].

يتأثر الأديب فيما ينتجه من نصوص أدبية بعوامل ذاتية شخصية ، وعوامل خارجية يصنعها محيطه وبيئته التي نشأ فيها ، فيستلهم منها أفكارا فنية تظهرها عواطفه ، إذ أن العمل الفني أو الأدبي ، هو عبارة عن تفاعل بين مشاعر وأحاسيس ومؤثرات خارجية يفرضها المحيط ، يحولها الأديب إلى أثر ذي بنية تكوينية وأسلوبية يمكن من خلالها استقصاء النمط الفني والأدبي لتلك الفترة .

ومن تلك الفنون التي نود دراستها الرسائل الأدبية النثرية باعتبارها عمل يحمل من انفعالات الأديب الفنان ، ينعكس من خلالها الجو العام لفترتين مهمتين من العصر العباسي أنا وهما القرنين الثالث والرابع هجري الذين توسطا العصر العباسي ، وقد حددنا إطارهما الزمني في الفصل التمهيدي .

ويرجـع الفضـل في ازدهار الحركة الثقافية في هذا العصر إلى عوامل نوجزها فيما يأتي :

ـ اهتمام الأمراء بالعلماء ورعايتهم والإغداق عليهم بالأموال والهدايا كمحفزات .

ـ كثرة المجالس والنوادي العلمية والتي في أغلبها تعقد تحت إمرة الأمراء والوزراء والقواد من محبي العلم .

ـ كثرة المكتبات ودور العلم وانتشارها عبر تراب الإمارات التابعة للدولة العباسية .

2 . رسالة صناعة القواد للجاحظ [3]*(ت 255 هـ) (دراسة فنية لشكل وأسلوب الرسالة)

---

[1] ـ جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص 580

[2] ـ المرجع نفسه ، ص 581

*" [3] ـ " عمرو بن بحر بن محجوب الكناني ، الملقب بالجاحظ ، ولد بالبصرة ، تتلمذ على يد كبار علماء عصره أمثال الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري ، والأخفش ،كان معتزليا عرف بالظرف والذكاء وسرعة البديهة ، عمت شهرته

الغرض والخصائص الفنية للرسالة :

أ. الغرض الأدبي الذي تنتمي إليه الرسالة :

الرسالة التي نتناول دراستها من رسائل المحاورة ، وهي شكل من أشكال الرسائل الأدبية التعبيرية، ويعد الجاحظ أهم من كتب في هذا الغرض ، بناها على الحوار الهادف سعى من خلالها إلى إيصال فكرته بطريقة طريفة محببة ، اعتمادا على شخصيات حقيقية يؤدون أدوارا حوارية (السائس يؤدي الدور الأول ، ثم الطبيب ، ليأتي دور جعفر الخياط ، وصولا إلى آخر دور وهو الفراش) .

هدف الجاحظ في محاورته « نقد السلوك اللغوي المنحرف »[1] الذي طرأ على بيان وأساليب المتحدثين باللغة العربية في زمانهم ، وشيوع اللحن وما أدخل عليها من ألفاظ واستعمالات غريبة وهي ظاهرة غير مستحبة تفسد اللغة في عقر دارها ، حيث تفشت الألفاظ الأعجمية الغريبة ، هذا السبب كان دافع الجاحظ لابتكار هذه المحاورة لمحاربة هذه الظاهرة ، ولفت انتباه أهلها إلى ما لحق ألسنتهم من فساد واختلال في تعابيرهم بهجرهم لسانها .

وإلى جانب تنبيه الجاحظ للخليفة إلى ضرورة تلقين أولاده مختلف العلـوم والتخصصات لتقويم ألسنتهم ، أراد أيضا تعليم عامة الناس ، ونصحهم وإرشادهم لإظهار مدى الضرر الذي يلحق بآلة البيان المحصورة في تخصص ما وإن علا شأنه ، فتفقد تلك الآلة قدرتها ولغتها السليمة .

ب . البنية والخصائص الفنية للرسالة :

الآفاق فسعى الجميع إلى طلب علمه ومعرفته ، تأدب بآداب الفرس ، وحكمة الهند ، وفلسفة اليونان ، ففصح لسانه ، ووضح بيانه ، وغزر علمه ، وقويت حجته ، وسلم منطقه ، مات رحمه الله في العقد السادس من القرن الثالث هجري ، وله العديد من المؤلفات نذكر منها البيان والتبيين ، كتاب البخلاء ، الحيوان ، وغيرها " ينظر : السيد عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، ليبيا ، ط 1 1397 هـ - 1988 ، ص 31 - 48

[1] - محمد محمود أحمد الدروبي ،الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، المرجع السابق ، ص 441

*** ـ عناصر الشكل :**

ـ المقدمة :

الرسالة التي بين أيدينا والمعنونة ب" صناعة القواد " لم يهتم الجاحظ بشكلها البنائي المتعارف عليه ، كونها رسالة أدبية ذات بعد تعليمي ، خلت من باقي عناصر المقدمة من العنوان (تحديد المرسل والمرسل إليه) ، كما خلت من التحية (السلام) ، والحمدلة هذه العناصر الكلاسيكية نجدها بشكل ثابت في الرسائل الديوانية خاصة منها ذات الطابع السياسي.

حـافظ على استفتاحـها بالبسملـة ثم الدعـاء لينتقل في مقدمته إلى ذكر محاسن اللسان مستشهدا بالحديث والأشعار دعما لحجته .

ويمكن رسم هيكلها على النحو التالي:

- ✓ **البسملة** :استهل الجاحظ رسالته بالبسملة بقوله " بسم الله الرحمن الرحيم " وهي سنة حميدة سار عليها أغلب المترسلين في إبداعاتهم ، وهي من الموروث النبوي الشريف والجاحظ يعتمدها في كل مؤلفاته .
- ✓ **الدعاء :** " أرشدك الله للصواب ، وعرفك أفضل أولى الألباب ، ووهب لك جميل الآداب وجعلك ممن يعرف عز الأدب كما تعرف زوائد الغنى "[1] .
- ✓ اعتمد الجاحظ في مقدمته على جملة من الأقوال لكبار العلماء والأدباء ، والشعراء فـــي سيأتي ذكرها في التالي .

ـ العرض : قص الجاحظ رسالته الهادفة على المتوكل ، سعيا منه إلى حث الخليفة على تعليم أولاده ضروبا من مختلف العلوم والمعارف والآداب فقال: « فخذ يا أمير المؤمنين أولادك بأن يتعلموا من كل الأدب، فإنـك إن أفردتهم بشيء واحد ثم سئلوا عن غيره لم

[1] . عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج 1 ، مرجع سابق ، ص 379

يحسنوه »[1] ، لنصح الخليفة بأن يخرج أولاده من قوقعة التخصص في مجال معين بطريقة بسيطة وأسلوب طريف مقنع .

ويمكن اختصار الرسالة في تبيان مجموعة من النقاط التي تناقشها على النحو التالي :

ـ تبيان أهمية اللسان وفضل تثقيفه بمختلف المصطلحات والكلمات ، وأن لا يحصر في نطاق علمي ضيق .

ـ بين الجاحظ بأن التخصص في مجال معين وإن كان ذا فائدة ، يضيق من معرفة صاحبه ومن مكتسباته اللغوية فتصبح لا تتعدى حدود اختصاصه ، مشيرا إلى أن المعجم اللغوي لصاحب التخصص لا يعدو أن تكون ألفاظه لا تخرج عن نمط تخصصه .

ـ كما أن رؤيته لما يحيط به تكون محدودة مستدلا على إغراقه في استعمال ألفاظ ومصطلحات العمل الذي يشغله .

ـ **الخاتمة** : اختتم رسالته بقوله : « تم كتاب الجاحظ ولله المنة ، وبيده الحول والقـوة والله سبحانه الموفق للصواب ، والحمد لله أولا و آخرا ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه»[2] ، فالجاحظ المتشبع باللغة بعد أن ألقى بحجته أمام الخليفة لإقناعه بصواب حديثه الذي غذاه بالطرافة والبداهة ، ختم قوله بالحمد والثناء على الله داعيا أن يمنحه الله التوفيق والسداد ، ثم الصلاة والسلام على رسول الله ليترك بالغ الأثر في نفس المتلقي ، وهذا من حسن التخلص للاختتام .

*** ـ ظواهر الأسلوب :**

الأسلوب هو الطريقة أو نمط الكاتب في تناوله لموضوع رسالته من استخدامه اللغة وبناء العبارات « فالأسلوب فن الـكلام يكون قصصا أو حوارا أو تشبيها أو مجـازا ، أو

---

[1] . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ج 1 ، مكتبة لسان العرب ، القاهرة ، مصر ، ص 381

[2] . المرجع نفسه ، ص 393

كناية فإذا الاستنباط كان للأسلوب معنى أوسع إذ يتجاوز العنصر اللفظي ، فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب أداة للإقناع أو التأثير »[1] .

مزج الجاحظ بين الجد والهزل و تناول قضايا كثيرة اجتماعية ، و مسائل كلامية وأخلاقية وطرائف ، فمست كتاباته مختلف الجوانب التي تشغل المجتمع منوعا في أساليبه ، فشخصيته كما يصفها شوقي ضيف بقوله : « من المؤكد أن العربية لم تعرف كاتبا فرض نفسه على عصره والعصور التالية كما عرفت في الجاحظ ، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بملكاته النادرة ، وما وصلها به من ذخائر الثقافات الأجنبية »[2]

ـ **عنوان النص** : ذكر عنوان الرسالة في ثلاث عناوين « عنوانها في نسخة الأصل : رسالة لأبي عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله في ذم القواد ، وفي مقدمة نسخة الأصل أيضا أنها تسمى صناعات القواد ، وتسمى أيضا طبائع القواد »[3] .

ـ الأثر الإسلامي :

استشهاده بالحديث الشريف إذ يقول : « وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله امرأ أصلح من لسانه » »[4] .

ـ الأثر التراثي :

يقول الجاحظ في رسالته :« دخلت على أمير المؤمنين المعتصم بالله فقلت : يا أمير المؤمنين ، في اللسان عشر خصال : أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل بين الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، ...، وقال الحسن البصري : إن الله تعالى رفع درجة اللسان ، فليس من الأعضاء شيء ينطق بذكره غيره .

---

[1] . أحمد الشايب ، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية ، مرجع سابق ، ط 1991 ص 41

[2] . شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، مرجع سابق ، ص 603

[3] . عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج 1 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل للطباعة والنشر القاهرة ، مصر ، 377

[4] . المرجع نفسه ، ص 380

وقال بعض العلماء : أفضل شيء للرجل عقل يولد معه ، فإن فاته ذلك فمال يعظم به فإن فاته ذلك فعلم يعيش به ، فإن فاته ذلك فموت يجتث أصله »[1].

ليواصل إثراء مقدمته بالأقوال فيقول : «... وسمع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجلا يتكلم فأبلغ في حاجته ، فقال عمر: هذا والله السحر الحلال .

وقال مسلمة بن عبد الملك : إن الرجل ليسألني الحاجة فتستجيب نفسي له بها فإذا لحن انصرفت نفسي عنها ، ...، وقال بعض الحكماء لأولاده : يا بني أصلحوا من ألسنتكم فإن الرجل لتنوبه النائبة فيستعير الدابة والثياب، ولا يقدر أن يستعير اللسان »[2].

يستشهد بقول الشاعر زهير بن أبي سلمى :

" وَكَائِنٌ تَرَى مِن صَامِتٍ لَكَ مُعْجَبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةَ اللَّحْمِ وَالدَّمِ" [3]

كما استشهد بمأثور الكلام من أقوال لعلماء ولغويين في تفضيل اللسان يقول في ذلك : « وقال الحسن البصري : إن الله تعالى رفع درجة اللسان ، فليس من الأعضاء شيء ينطق بذكره غيره »[4] ، ليضيف «وقال بعض العلماء : أفضل شيء للرجل عقل يولد معه ، فإنه فاته ذلك ، فمال يعظم به ، فإن فاته ذلك فعلم يعيش به ، فإن فاته ذلك فموت يجتث أصله »[5] .

اعتماده على هذه الآثار في عرض فكرته في صورة حجاجية مدعمة بالبرهان الصادق والدليل القاطع المبني على المنطق ، فالمعروف عن الجاحظ كثرة الاستشهاد « بالأيات والأحاديث والأشعار ، والأمثال ، مما يدل على سعة إطلاعه ووفرة روايته »[6] .

---

[1] . عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج 1 ، مرجع سابق ، ص 379 . 380

[2] . المرجع نفسه ص 380 . 381

[33] . المرجع نفسه ص 381

[4] . المرجع نفسه ص 380

[5] . المرجع نفسه ص 380 . 381

[6] . بطرس البستاني ،أدباء العرب في الأعصر العباسية ، آراءهم ، نقد آثارهم ، المرجع السابق ، ص 214

ـ التلوين الفني والتصوير الأدبي :

بدخـول العصـر العبـاسي الثاني « انبعثت طبقـة من الكتاب المنشئين لا يشق لهم غبار إمامهم الجاحظ ، وضع أسلوبا في الإنشاء ، وذلك أن جعل الجملة قطعا صغيرة كالشعر لكن بدون وزن ولا قافية ، أو هو سجع لا تشترط فيه القافية »[1] كقوله : « جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفـة نسبا ، وبيـن الصـدق سببـا وحبب إليك التثبت ، وزين في عينيك الإنصاف وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل اليأس ... »[2] ، وفي هذا النص ميـزة إدخال الدعاء يقول جورجي زيدان : « أدخل الدعاء معترضا يوجه المخـاطب بصيغـة المفرد كقوله ((وليس حفظـك الله مضرة سلاطــة اللسان ، عند المنازعــة ، وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة ، بأعظم مما يحدث ...)) »[3] ، وفي الرسالــة التي بين أيدينا نـرى ذلك حين افتتح رسالته بنص الدعاء أين يقـول: « أرشدك الله للصواب ، وعرفـك أفضل أولى الألباب ، ووهب لك جميل الآداب وجعلك ممن يعرف عز الأدب كما تعرف زوائد الغنى »[4] .

ألفاظ الجاحظ :

انتقى الجاحظ ألفاظا جزلة محكمة الربط ، وثيقة الحلقات ، ليست بالغريبة الصعبة ولا بالعامية المبتذلة ، ولكن أتى بشيء مخالف عن المعهود اذ استعمل ألفاظا لاختصاصات معينة ، يختص بها أصحاب مهن اختارهم في محـاورته مثال ذلك المفـردات التي استعملها الطبيب (البيمارستان ...المحقنة ...مبضعا ...الإسهال ...بقراط ...جالينوس ...) فهي كلمات أهل الطب استعملها في التعبير عن مشاعره وفي وصفــه للمعركـة ، وهـو ذات الــحال عنـد فرجــا الرخجي الخباز عند إجابته عن ذات السؤال رد مستعمــلا عبــارات

---

[1] . جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 580

[2] . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، كتاب الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ج 1 ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط 2 ، 1384 هـ . 1965 م ،

[3] . جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 581

[4] . عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج 1 ، مرجع سابق ، ص 379

تدل على مهنته مثال ذلك (بيت التنور ...أرغفة ... جمرة ...جفنة ...عجن ...دقيق...خشب ...اختمر ...جررادق ...مثرودة ...قصعة ...) ، وهو حال الطباخ حيث ذكر أدوات الطبخ في حديثه (مطبخ ...يشوي ...موقد نار...مغرفة ...قدر لوزينج ...جوزينج ...) ليعمم انتقاء ألفاظ الاختصاص مع باقي أصحاب المهن الوارد ذكرهم في الرسالة .

نجد من ألوان البديع السجع في مقدمة رسالته " الصواب ...الألباب ...وهب ...الأداب ... " جاء عفويا وليس الغرض منه الصنعه ، كما تضمنت مقدمته من الألوان البيان الاستعارة التصريحية في قوله : «... أداة يظهر بها البيان ، حاكم يفصل بين الخطاب ، ناطق يراد به الجواب ..شافع تدرك به الحاجة .. » فألوان البديع والبيان تزيد المعنى وضوحا وتقويه .

يتسم أسلوب الجاحظ بالوضوح ، واستعمال اللغة السليمة ، مع تتالي المترادفات بهدف الإقناع ، مع اختيار ألفاظ تخدم الغرض وتستوفي المقصد مع استعمال التعابير الواقعية :« وزعماء الواقعية في أوروبا لم يصنعوا شيئا أكثر مما صنعه الجاحظ »[1] وهو ما نراه في هذه الرسالة من استعماله مصطلحات من واقع المجتمع العباسي وما حواه من مصطلحات دخيلة ، ومصطلحات لأهل الاختصاص الذين ادخلوها في استعمالاتهم اللغوية اليومية .

أيضا نجده ربط الجد بالهزل الذي يتيح له التعبير عما يريد دون أن يصيب القارئ الملل فيلجأ للهزل الهادف بقصد الترفيه عن القارئ في إيصال الفكرة بطريقة خفيفة على النفس والقلب ، فهو يرى بأن القراءة نزهة للقارئ لتهذيب أخلاقه .

وتمثيلا لأدوار هذه المحاورة نأخذ الدور الثالث " جعفر الخياط " كنموذج للدراسة والذي أتى على النحو التالي : « قال: وسألت جعفرا الخياط عن مثل ذلك فقال : لقيناهم

[1] ـ عبد الحكيم بلبع ، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ص 283

في مقدار سوق الخلقان ، فما كان بقدر ما يخيط الرجل درزا [1] حتى قتلناهم وتركناهم في أضيق من جربان [2] فلو طرحت إبرة ما سقطت إلا على رأس رجل »[3]

لينظم أبياتا غزلية قال فيها :

" فَتَقَتْ بِالْهَجْرِ دُرُوزَ الْهَـوَى إِذْ وَخَزَتْنِـــي إِبْـــرَةُ الصَّـــــدِّ

فَالْقَلْبُ مِنْ ضِيـقِ سِرَاوِيلِـهِ يَعْثُـــرُ فِي بَايكـــة الْجُهْـــــدِ

جَشَّمَتني يـا طيلسانَ النَّـوَى مِنْـــكَ عَلَى شوزكتـــي وَجْـــــدِي

أَزْرَارَ عَيْنِي فِيكَ مَوْصُولَـةٌ بعـــرْوَة الدَّمْـــعِ عَلَى خَـــــدِّي

يَا كسْتَبَـان الْقَلْـبِ يَـا زِيقَـة عَذَّبَنِـــي التَّذكَـــارُ بِالْوَعْـــــدِ

قَدْ قَصَّ مَا يَعْهَدُ مِنْ وَصْلِهِ مِقْـرَاضُ بَيـــنٍ مُـــرْهَفُ الحـــدِّ

يَا حُجـزة النَّفْـسِ وَيَـا ذَيْلَهَـا مَالِـي مِـنْ وَصْلِكَ مِـــنْ بُـــــدُّ

وَيَا جربَّـانَ سُـــرُورِي وَيَـا جَيْبَ حَيَاتِي حُلْتَ عَنْ عَهْدِي "[4]

يقـوم الدور على طرفي حوار ، الجاحظ وهو السائل ، والطرف الثاني وهو الخياط وعلى هذا النمط التحاوري سارت باقي الحوارات الواردة في الرسالة .

صيغة الجواب تنوعت بين النثر والشعر في جل أدوار المحاورة كما هو مبين من القطعة المختارة من الرسالة .

يصف الخياط الرقعة الجغرافية التي وقعت فيها المعركة فيشبهها بمقدار السوق الذي تباع فيه الملابس " لقيناهم في مقدار سوق الخلقان " فهو تعبير من صميم تعبيرات

---

[1] . الدرز : موضع الخياطة

[2] . جربان القميص : جيبه

[3] . عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج 1 ، مرجع سابق ، ص 384

[4] . المرجع نفسه ، ص 384 . 385

الخياطين ، وفي تعبيره عن المدة الزمنية لانتظار الجيش للالتحام جعلها بمقدار استغراق درزة من درز الخياطة ، وفي تعبيره عن حصرهم قوات الروم عبر عن ضيق هذه الرقعة بجيب القميص .

وشعريـا أعمل الجاحظ أبياتا على لسان الخياط في الغزل استعمل الألفاظ والتعبيرات التي تجري على ألسن الخياطين .

كما ضمن لرسالته من ألوان البيان الشئ الكثير فنجد :

التشبيه البليغ في قوله : " ...أزرار عيني .... كستبان القلب ....جربان سروري ...جيب حياتي .." حيث حذف وجه الشبه وأداة التشبيه

الاستعارة المكنية : " ... وخزتني ابرة الصد ....فتقت بالهجر دروز الهوى... "

الكناية في قوله : " ...لوطرحت إبرة ما سقطت إلا على رأس رجل " كناية عن الكثرة.

والصور البيانية تزيد المعنى وضوحا والأسلوب جمالا .

وبصفة عامة نجد أن الجاحظ دمج بين جنسين أدبيين مختلفين في رسالته ، هما الشعر والنثر، واستشهد بأقوال الشعراء والفلاسفة ، والأدباء والنقاد ، وما يلاحظ أنه لم يأت على ذكر الشعراء الذين أدخل نصوصهم في رسالته .

03 . رسالة أفضلية الزجاج على الذهب لـ سهل بن هارون *[1] (ت 215 هـ)

أعتبر الجاحظ حامل لواء التجديد في القرن الثالث الهجري ، إلا أن هناك شخصيـة أخرى كان لها الفضل في هذه الحركة التجديدية ، بل هو من بذر زهرتـه الأولى ، ويعـد أحد أبرز أعلام الكتابة الترسلية في العصر العباسي في مرحلته الانتقاليـة بين القرنيـن الثاني والثالث

---

*. " سهل بن هارون المكنى أبا عمر من أهل نيسابور ، نزل البصرة فنسب إليها ، ويقال أنه كان شعوبيا ، ... ، أنفرد في زمانه بالبلاغة والحكمة ، صنف الكتب معارضا بها كتب الأوائل ،...، كان من أبخل الناس ، وله في البخل وغيره نوادر حسنة ، " ينظر : جمال الدين بن نباتة المصري ، سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون ، المرجع السابق ، ص 243

هجري ، حتى أنه قيل بأن الجاحظ تأثر بأسلوبه الهزلي والجدلي، أنا وهو سهل بن هارون فما هي الملامح التي أدت إلى سطوع نجمه .

عندما آلت الخلافة للعباسيين تراجعت مكانة العرب في بلاط الحكم وعمت الروح الفارسية وطغت « وكان تقدم الفرس على العرب في شؤون الحكم سببا في اصطدام هائل بين العرب والموالي، وسرعان ما ظهرت نزعت الشعوبية ، أخذ جماعة من علماء العجم وأدباء العجم وأدبائهم يطعنون في عرب الجاهلية لبعدهم عن أسباب الحضارة والثقافة وطعنوا أيضا في كل ما يتصل بهم من فضائل خلقية ومن خطابة وغير خطابة منوهين بفضائل الفرس وغيرهم من شعوب الحضارات القديمة ، وما اشتهروا به من عمارة وفنون وعلوم »[1] .

فألفت الكتب في فضائل الفرس ، وكتب في مثالب العرب ،وسهل بن هارون أحد أبرز هؤلاء الكتاب المتحاملين على كل ما هو عربي ، غير أنه كان ذا لغة متفردة وأسلوب بلاغي رصين ، جمع بين الخطابة والشعر، قال عنه الجاحظ واصفا كفاءته : « ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المدونة، والأخبار المولدة سهل بن هارون »[2] ، كما وصفه في كتابه البيان والتبيين فقال : « كان سهل سهلا فينفسه ، عتيق الوجه [3] ، حسن الشارة بعيدا من الفَدامة » [4] .

وقد اشتهر بالفصاحة والثقافة العالية « انفرد سهل في زمانه بالبلاغة والحكمة وصنف الكتب معارضا بها كتب الأوائل وتميز أسلوبه بالمجادلة والحوار والسرد والاحتجاج ، ...، وأكثر ما يلاحظ ذلك في رسالته التي يذم بها الكرم والثانية التي يفضل فيها الزجاج على الذهب ، وهذا من تأثير الفلسفة والسفسطة ، وقد كان ذلك شائعا في

---

[1] . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، مرجع سابق ، ص 122

[2] . المرجع نفسه ، ص 148

[3] . عتيق الوجه : جميل

[4] . الفدامة : العي

بيئة المتكلمين »[1] .

الغرض والخصائص الفنية للرسالة

نص الرسالة : «(الزجاج مجلو نوري ، والذهب متاع سائر، والشراب في الزجاج أحسن منه في كل معدن ، لا يفقد معه وجه النديم ، و لا يثقل اليد, و لا يرتفع في السوم[2] واسم الذهب يتطير منه ، ومن لؤمه سرعته إلى اللئام, وهو فاتن فاتك [3]لمن صانه ، وهو أيضاً من مصايد إبليس ، ولذلك قالوا : أهلك الرجال الأحمران [4] ، والزجاج لا يحمل الوضر[5] ، ولا يداخله الغمر[6] ، ومتى غسل بالماء وحده عاد جديداً ، وهو أشبه شيء بالماء وصفته عجيبة ، وصناعته أعجب...) من رسالة طويلة »[7] .

أ ـ الغرض الأدبي الذي تنتمي إليه :

هي رسالة طويلــة لم يعثــر إلا على هــذا الجزء أراد مــن خلالها سهـل أن ينتصـــــر للزجاج على الذهب ، والمطلع على رسائل سهــل بن هارون لن يستغـرب هذا النمط الغريب في التفكير فهو يميل في رسائله بالخروج عن كل ما هو مألـوف لعادات الناس فهي عادة لديه في الاهتمام بكل ما ينافي المنطق من خلال ابتداعه مناقشات غريبة ولتقوية رأيه يستخدم المنطق ـ يذكر الخواص ثم يأتي بنقيضها ـ كما يراه هو ، ويوظف الحجج والأدلة التي يستقيها من الموروث الديني في جداله ، وهذا يظهر مدى براعته وقدرته وحنكته اللغوية هذه القدرة الاقناعية الكبيرة لم تأت من فراغ بل العامل الأول في تشكلها لديه انتمائه إلى زمن المحاججات وشيوع علم الكلام ، وانتشار هذا النوع من المفاضلات ، إذ نجده عند الجاحظ أين فاضل بين أفضلية النطق على الصمت .

---

[1] . زينة عبد الجبار محمد المسعودي ، الرسائل في العصر العباسي حتى القرن الرابع هجري ، مرجع سابق ، ص 49

[2] . السوم في المبايعة : المساومة

[3] . فاتك : غالب

[4] . الأحمران : الذهب والزعفران

[5] . الوضر : الوسخ

[6] ـ الغمر : زنخ اللحم وما يتعلق باليد من دسمه

[7] ـ أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، ج 3 ،المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 395 - 396

والمفاضلة شكل من الأشكال التعبيرية كما سبق وتطرقنا إلى ذلك ، تقوم على انتصار الكاتب لأحد العنصرين المفاضل بينهما دون إشراك الغير في إبداء الرأي .

مقارنة تدور الرسالة حول المفاضلة بين الزجاج والذهب ، فيؤثر ابن هارون الأول مظهرا فضائله في غريبة لم يسبقه إليها أحد ، فالمعدن النفيس الذي يتسابق الناس في جمعه والمفاخرة بامتلاكه يأتي سهل بن هارون ليحاجج بالعكس النقيض ، وللوصول إلى الفكرة من إنشائه لهذه الرسالة كان لزاما علينا تقصي الملابسات التي سبقت وجودها يوردها جمال الدين بن نباتة المصري في مؤلفه سرح العيون ، أين قال : « تأتي من رسالة طويلة ، وكان سبب قوله لها أن شداد الحارثي كان قد وصف الذهب فأطنب وكان النظام قد ذم الزجاج ، وقال: تعلموا العلم فلأن بذم الزمان لكم خير من يذم بكم »[1] .

ب ـ البنية والخصائص الفنية للرسالة :

***ـ عناصر الشكل :**

الرسالة مجتث منها الكثير بالتالي لا يمكن الحكم على العناصر المكونة لها و المتعارف عليها في الرسائل الأدبية من مقدمة ـ بما فيها البسملة و الدعاء ـ فلا نعرف بماذا افتتحت ولا بماذا اختتمت .

ـ عنوان الرسالة :

عنون للرسالة تفضيل الزجاج على الذهب " وجاء على النحو التالي : ومن رسالة له يفضل الزجاج على الذهب" كما ورد في جمهرة رسائل العرب .

ـ المضمون :

ينتصر سهل بن هارون لمعتقده باتيانه بجملة من الأدلة التي تؤيد مذهبه في الاحتجاج من حيث مناقضته المألوف ، مظهرا مميزات ومحاسن الزجاج وفي المقابل

---

[1] . جمال الدين بن نباتة المصري، سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ص 246

يأتي على ذكر مساوئ الذهب ليبدو الذهب ذو مثالب ونقائص ، غير آبه بموضوعية مفاضلته ، فسعى إلى أن يسلب الذهب من جميع جمالياته ومحاسنه ومزاياه يقول : (الذهب متاع سائر ... واسم الذهب يتطير منه ... ومن لؤمه سرعته إلى اللئام ، وهو فاتن فاتك لمن صانه...من مصايد إبليس ...)[1] في نظرة ذاتية أحادية من الكاتب ، في مقابل ذلك حاول تجميل الزجاج وإظهاره في صورة الكمال من دون أن يأتـي على ذكر مثالبـه وعيوبـه(الزجاج مجلو نوري ... لا يفقد معه وجه النديم ...لا يثقل اليد ...لا يرتفع في السوم ، الزجاج لا يحمل الوضر)[2] في تحيز جائر واضح كونها موازنة غير متكافئة وغير عادلة لأنها مالت لطرف على حساب الطرف الآخر .

والموضوع رغم تناقضه جديد يشد الانتباه إليه لغرابته و خروجه عن ما ألفته الناس فانتقى لذلك ألفاظا قوية تخدم الغرض ، و تزيد المعاني وضوحا ، فحتى يزيد من قيمة الزجاج اختار اللفظ المحبب والمريح للسمع في ذكر محاسنه ، والعكس بالنسبة للذهب مثال ذلك استعماله كلمة ثقيل للذهب و كلمة خفيف للزجاج ، واستعمل كلمة لئيم وهي كلمة تستقبحها الأسماع ، ونفس الحال بالنسبة لكلمة شيطان .

العبارة المنتقاة تنفر أو تحبب بالتالي تقوي المعنى ، فابن سهل في نصه يحـاول إقناع متلقي الناص بالتأثير على نفسيته من خلال عبارات ترتاح لها النفس ، أو عبارات تشمئز منها وتوظيفها بطريقة تخدم رؤيته .

ـ الخاتمة :

كما تقدم الرسالة تعد مفقود جزء كبير منها ، لا يعلم إن كان لها خاتمة أم لا .

***ـ ظواهر الأسلوب :**

اللغة : استعمل ابن هارون الجمل الخبرية ، كون الغرض من الرسالة المفاضلة فالجمل تبدأ بالزجــاج وما يتصل به من ميزات ، ثم يخبر عن حال كل منهما بالتركيـز

[1] . أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، مرجع سابق ، 39

[2] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

على إظهار محاسن الزجاج دون ذكر سلبياتــه ، والعكس بالنسبــة للذهب ، فنراه يعمـل على توظيف الجمل بطريقة تضعف من مكانة الذهب . مستعملا أسلـوب النفي المنسجم مع الجمل الخبرية التي تتشكل في بنائها من مبتدأ وخبـر ، وهدفه نفي بعـض الصفات سواء عن الذهب أو الزجاج.

ـ الأثر الإسلامي :

في قوله " أهلك الرجال الأحمران " هذا القول مأخوذ عن قوله صلى الله عليه وسلم حينما تساءل عن النساء عندما رآهم أقل أهل الجنة ، رد جبريل عليه السلام بأنهن شغلهن الأحمران الذهب والزعفران .

ـ التلوين الفني و والتصوير الأدبي :

يظهر في **المحسنات البديعية** المتمثلة في :

الطباق : في قوله : يثقل ≠ لا يثقل ، الجناس الناقص في قوله : لؤمه — اللئام الأحمران — الزعفران ، عجيبة — أعجب ، الوضر — العمر

من **صور البيان** :

المجاز الاستعاري في قوله :

1 . مجلو نوري : مجاز استعاري لأن النور لا يجلو به الزجاج ، إنما يعني الوضوح والانكشاف ، فاستعار جلاء الضوء من نور الزجاج .

2 . في كلمة متاع : جعـل من الذهـب متــاع زائــل ، آخذ مـن قوله تعالى واصفا الدنيــا " متاع الغرور " .

3 . استعمال مجازي في قوله " يتطير " مجاز عن الشؤم نحو قولــه تعالى ﴿ إنـا تطيرنـا بكم ﴾[1] .

[1] . سورة ياسين® الأية . 18ß

" لا يثقل " ولم يقل خفيف لأنــه يريـد إظهار عيـب من عيوب الذهب في جداله عن أفضلية الزجاج .

الكناية : في قوله " مصايده " كناية عن غواية إبليس .

الأحمران : كناية عن الذهب والزعفران

التشبيه : أشبه شيء بالماء

نجد الكاتب في تصويره للزجاج وصفه بأحسن الصفات ، ولم يأت على ذكر العيوب بينما عكس الصورة بالنسبة للذهب مستعملا صورا منطقية تخدم في الإقنـاع بفكرتـه بتغييـب ذكر المحاسن والتركيز فقط على ذكر المساوئ ، ما أثر على السامع أو المتلقي بتركيز ذهنه على سماع السلبيات وعدم الانتباه للمحاسن وكأنه يسيطر على المتلقي كونه دعم منطقه بحجج تكاد تكون واقعية .

ثانيا ـ مميزات و خصائص بنية الرسالة الأدبية خلال القرن الرابع هجري .

رسالة ابن العميد في وصف شهر رمضان ـ نموذجا ـ

01 ـ خصائص الترسل خلال القرن الرابع هجري(الطريقة المدرسية) :

تحكمت الظروف المحيطة بالأفراد في مراسلاتهم كونها متعلقة بـعواطف النـاس المختلفين من حيث آدابهم الاجتماعية وأحوالهم المعرفية ، ومكتسباتهم الثقافية ، فبالتالي يتغيـر الأسلوب بحسب تلك المؤثرات .

وكما هو معلوم فإن لكل عصر إمام في إنشاء المراسلات ، فالعصر العباسي الأول كانت السيادة لعبد الحميد الكاتب وابن المقفع ، والجاحظ كانت له الريادة في العصر العباسي الثاني ، وابن العميد تربع على عرش إنشاء المراسلات في العصر العـباسي الثالـث هذا العصر شهد توسعا جغرافيا ورخاء وترفا عم حياة العباسين ، خاصة الكتاب وممتهنوا الإنشاء ، الذين عرفت حياتهم نقلة كبيرة في عالم الترف كونهم أصحبوا من المقربين وأصحاب المكانة ، فتعددت مصادر رزقهم جراء إغداق الوزراء والأمراء والخلفاء عليهم ، فعاشوا حياة رغدة ، هذا الرخاء عاد على أسلوبهم فتأنقوا في مظاهرهم وحتى في

إنشائهم ، فأطالوا العبارة ، وتوسعوا في التنميق وبهرجة رسائلهم والتفنن في تجميل الأساليب وفي التنويع فيها .

في هذا القرن نبغت جماعة كان لها الفضل في التأسيس لطريقة أو مدرسة سار على منوالها كتاب العصور الموالية ، واتخذوها نموذجا نسجوا على نهجه رسائلهم عرفت في الأوساط الأدبية بـ " الطريقة المدرسية " [1] ، هذه المدرسة سطرت شروطا للكتابة الإنشائية العربية ، والمتمثلة في :

ـ السجع : "أصبح التسجيع شرطا من شروط الترسل ، وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية في إتقانه ، فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها لما يقتضيه من العناية في إتقانه ، فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها أكثر من غير المسجعة ، ...، والسجع إذا أتقنت صناعته أكسب المعنى قوة " [2].

ـ الجناس والبديع : أكثروا من الجناس " وهو لا يزيد العبارة معنى لكنه يكسبها رونقا " [3] .

ـ كثرة الخيال الشعري : حتى ترى سجعهم كأنه الشعر المنثور لا ينقصه إلا الوزن ليصبح شعرا .

ـ تضمين مراسلاتهم الأمثال والنكت الأدبية والعبارات العلمية والتاريخية .

ـ الاستشهاد بالأشعار في مراسلاتهم « وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحا ويكسبه قوة على إبداء ما في خاطر الكاتب »[4] .

ـ الاستشهاد بالأشعار في مراسلاتهم « وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحا ويكسبه قوة على إبداء ما في خاطر الكاتب »[5] .

---

[1] . جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 690

[2] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[3] . المرجع نفسه ، ص 691

[4] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

[5] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

ـ أصبح للرسائل نمط خاص مغاير للرسائل في العصور السابقة ، وصار لها أبواب وتقسيمات .

ـ أصبح لكل طبقة من رجال الدولة مخاطبات ونعوت خاصة بهم وأدعية يدعون بها لهم وصار للإنشاء ألفاظ خاصة لا تستخدم في غيره « وتولدت فيه مصطلحات خاصة لأساليبه وعباراته كالتسجيع ، والترصيع ، و التضريس ، و التبديل ، و المكافأة ، و الاستعارة والتتميم ، و والتقسيم ، و الإرداف ، و التمثيل ، و المعاظلة ، والتكرير وغيرها ولكل منها غرض في الإنشاء »[1].

أشهر رواد الترسل في القرن الرابع هجري :

ابن العميد المتوفي سنة 360 هـ ، أبو إسحاق الصابي المتوفي سنة 347 هـ الصاحب بن عباد المتوفي سنة 385 هـ ،بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة 398 هـ وغيرهم .[2]

02 . رسالة ابن العميد * (ت 360 هـ) [3] يصف فيها حالته في شهر رمضان

(دراسة بنية الرسالة شكلا وأسلوبا)

وردت الرسالة في يتيمة الدهر على النحو التالي : « كتابي ـ جعلني الله فداك ـ وأنا في كد وتعب ، منذ فارقت شعبان وفي جهد ونصب من شهر رمضان ، وفي العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ، ووقع الصوم ، ومرتهن بتضاعف حرور [4]، لو أن اللحم يصلى ببعضها غريضا[5] أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهولجر يكاد

---

[1] . جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 693

[2] . ينظر المرجع نفسه ، ص 694 . 700

[3] . هو* " أبو الفضل محمد بن الحسين الملقب بابن العميد ، نشأ وتربى في بيئة علمية وأدبية ، كان أبوه مشهورا في خراسان ، كانت له خبرة طويلة في ميدان السياسة ، ... ، تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر الساماني ملك بخارى ، ...، ولد في العقد الآخر من القرن الثالث للهجرة من أسرة فارسية ، ...، كان أكتب أهل عصره ، ...، لابن العميد من المؤلفات ديوان رسائله ، وكتاب المذهب في البلاغات ..." ينظر محمد حسين المهداوي ، فهد نعيمة البيضاني ، أدب ابي الفضل بن العميد ، دار الفرات للثقافة والإعلام ، العراق ، 2018 ، ص 17

[4] . الحرور : شدة اللهب

[5] . الغريض : الطازج

أوارها يذيب دماغ الضب ، ويصرف وجه الحرباء عن التحنق ، ويزويه عن التبصر ويقبض يده عن إمساك ساق وإرسال ساق [من البسيط] :

وَيَتْرُك الْجَاب[1] فِي شُغْل عَن الْحقب وَيَقْدح النَّار بَيْنَ الْجلدِ والْعَصَبِ

وَيُغَادِرُ الْوَحْشُ وَقَدْ مَالَتْ هَوَادِيهَا [من الطويل] :

سُجُودًا لَدَى الأرطى [2] كَأَنَ رُؤوسَهَا عَلَاهَا صُداعٌ أو فواقٌ[3] يُصَوّرُهَا[4]

وكما قال الفرزدق [من الطويل]:

ليومٍ أتتْ دونَ الظِّلَالِ شُمُوسُهُ تظلُّ المَهَا صورًا جَمَاجمُهَا تغلي

وكما قال مسكين الداريمي [من الطويل]:

وَهَاجرةٍ ظلَّت كَأَنَّ ظِبَاءَهَا إِذَا مَا اتَّقتْهَا بِالْقُرُونِ سُجُودُ

تَلُوذُ بِشُؤْبُوبٍ من الشمس فوقها كما لاذ من وخز السنان طريد

ومنوا بأيام تحاكي ظل الرمح طولا ، وليال كإبهام القطاة قصرا ، ونوم كلا ولا قلة وكسحو الطائر من الثماد[5] دقة ، وكتصفيقة الطائر المستحر خفة [من الطويل]:

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة فلما رجوها أقشعت وتجلت

وكنقر العصافير وهي خائفة من النواطير يانع الرطب

وأحمد الله على كل حال وأسجله أن يعرفني فضل بركته ، ويلقيني الخير في باقي أيامه وخاتمته ، وأرغب إليه في أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ويعجـل نهضتــه . وينقض مسافـة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويرد

---

[1] . الجاب: حمار الوحش

[2] . الأرطى : شجر له ثمر كالعناب

[3] . فواق : الميل والانكسار في الفوق ، وهو موقع الوتر من رأس السهم

[4] . يصورها : يلويها

[5] . الثماد : الماء القليل

علي غرة شوال فهي أسر الغرر عندي وأقرها لعيني ، ويسمعني النعـرة في قفا شهـر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفـر ، وأنحـف من مجنـون بني عامر وأضنى من قيس بن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكـور ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوءها ، ويحط من الأجسام نؤها ، كلفا يغمرها وكسوفا يسترها ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس بـرج واحد ودرجة مشتركة ، وينقص من أطرافه كما تنقص النيرات من طرف الزند ، ويبعـث عليه الأرضة ويهدي إليه السوس ، ويغري به الدود ، ويبليه بالفار ويخترمه بالجراد ويبيده بالنمل ويجتحفه بالذر ، ويجعله من نجوم الرجم ، ويرمي به مستـرق السمـع ، ويخلصنا من معاودته ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان ويصنع به صنعه بالألوان ، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه وتهتك بطلوعه (ويرحم الله عبدا قال آمينا) واستغفر الله الله جل وجهه بما قلته إن كرهـه واستعفيه من توفيقي لما يذمه ، وأسأله صفحا يفيضه ، وعفوا يسيغه ، وحالي بعد مـا شكوتـه صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر »[1] .

الغرض والخصائص الفنية للرسالة:

أ ـ **الغرض الأدبي الذي تنتمي إليه** : هذه الرسالة بمثابة الدعابة والهزل يصف من خلالها حاله خلال شهر رمضان المبارك .

ب ـ البنية والخصائص الفنية للرسالة :

*** عناصر الشكل :**

رسالة ابن العميد اشتملت على كافة العناصر الفنية التي تتشكل منها بنية الرسالة والمتمثلة في : مقدمة ، عرض ، و خاتمة .

ـ المقدمة :

[1] ـ أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج 3 ، شرح وتحقيق ، مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1403 هـ - 1983 م ، ص 190 - 192

تنوعـت المقدمـات في هـذا القرن ، وتباينت ، فكـانت ميزة تحتسـب لكتابـه يقول في ذلك زكـي مبارك : « من خصائص النثر الفني في القرن الرابع ، عدم التقيد في بداية الكتب فقد كان القدماء يحرصون على الابتداء بحمد الله والصـلاة على نبيـه ، بعد عبـارة من فـلان إلى فلان التي كثر ورودها في القرن الأول ، ولكن كتاب هذا العصر أخذوا يجرون على فطرتهم في تخير البدايات .. »[1] .

وإسقاطا على العناصر المتعارف عليها في بنـاء الرسالـة نجد ابن العميد استهل رسالته بالدعاء حيث قال : « كتابـي ـ جعلنـي الله فداك ـ »[2] فهـو يدعو الله أن يثبته ويرزقه القوة والصبر ليختمه ، وأن يعرفه الله فضل هذا الشهر الفضيل .

ـ المضمون :

هو صلب العمل الأدبي الترسلي الذي تقوم عليه الرسالة ، من خلاله تظهر براعـة الكاتب ومهارته ، عكس المقدمة والخاتمة اللتان عادة تكونان من المتوارث عليه من تقاليد فنية تحكم شكل الرسالة ، ومضمون رسالة ابن العميد عبارة عن امتعاض وشكوى من الحـال الذي وصل إليه من تعب وإرهاق لما لحق به من صوم شهر رمضان ، ولكن في قالب فكاهة ومزاح .

بعد أن دعا الله أن يعرفه فضل هذا الشهر انتقل إلى وصف حاله وما أصابه من جهد وعنـاء يقـول : «... وأرغب إليه في أن يقـرب على القمـر دوره ، ويقصـر سيـره ويخفـف حركته ، ويعجل نهضته . وينقض مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول من ساعاته .. »[3] ، فكأنه من حديثه يخبرنا أن شهر رمضان حل عليهم في أحد شهـور الصيف الشديدة الحرارة فأجهده الصيام حتى صار يتمنى أن تمضـي سـاعات النهـار بسرعة وأن تطول ساعات الليل ، وأن ينتهي الشهر بسرعة ، فهو مشتاق لرؤية هـلال

---

[1] . زكي عبد السلام مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1427 هـ . 2006 م ، ص 355

[2] . أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج 3 ، مرجع سابق ، ص 190

[3] . المرجع نفسه ، ص 191

شوال وهو شغوف لتلك اللحظة وينتظرها بشوق كبير فيقول : « ويرد علي غرة شوال فهي أسر الغرر عندي وأقرها لعيني »[1] .

ابن العميد انتقل إلى صلب الموضوع بشكل مباشر ، في حديثه عن معاناته خلال شهر رمضان المبارك ، شارحا حالته ماضيا في وصف أمانيه بأن يرى الهلال ينحل ويتقلص أكثر فأكثر إلى أن يزول بطريقة بنائية رائعة :« ويسمعني النعرة في قفا شهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بني عامر ، وأضنى من قيس بن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوءها ، ويحط من الأجسام نؤها ، كلفا يغمرها وكسوفا يسترها ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة ، وينقص من أطرافه كما تنقص النيرات من طرف الزند ، ويبعث عليه الأرضة ، ويهدي إليه السوس ، ويغري به الدود ، ويبليه بالفار ويخترمه بالجراد ويبيده بالنمل ويجتحفه بالذر ، ويجعله من نجوم الرجم ، ويرمي به مسترق السمع ويخلصنا من معاودته ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان ويصنع به صنعه بالألوان ، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه وتهتك بطلوعه (ويرحم الله عبدا قال آمينا) واستغفر الله جل وجهه بما قلته إن كرهه واستعفيه من توفيقي لما يذمه وأسأله صفحا يفيضه ، وعفوا يسيغه ، وحالي بعد ما شكوته صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر »[2] .

ـ الخاتمة :

يختتم ابن العميد رسالته بأن يستغفر ربه على ما قاله ، وأفاض فيه من استثقال للشهر الفضيل وتذمر من ما واجهه من تعب وإرهاق جسدي لحق به ، في دلالة على أن الشهر الفضيل زامن فصل صيف فكانت أيام الصيام متعبة ومرهقة .

---

[1] . أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج 3 ، مرجع سابق، ص 191

[2] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

***. ظواهر الأسلوب :**

. الأثر الإسلامي :

بـرع كتاب القرن الرابع في توظيف النص القرآني ، إما بالاقتباس ، أو محاكاة أسلوبه أو الاستعانة بقصص منه في إيصال فكرتهم وأهدافهم من الرسالة سواء بالنصـح أو الإرشـاد ويدل ذلك على مدى تأثر الكتاب بالنص القرآني .

لم يرد نص صريح في استشهاده ، ولكنه اقتبس من آية قرآنية قوله تعالى : ﴿ إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾[1] ، أي إلا من استرق السمع منهم فأتبعه شهاب مضيء يحرقه حين يرمى به .

. الأثر التراثي :

تزينت رسائل القرن الرابع بالأبيات الشعرية بل هي نفسها حـاكت الأبيات الشعرية فضمن الكتاب رسائلهم مختلف المقطوعات سواء لمعاصريهم أو لمن كـانوا قبلهم يقـول في ذلك أحمد بدوي : «...ونظرة إلى ألوان هذه الرسائل ترينا أن هناك صلة وثقى بينها وبين الشعر الغنائي من حيث الغرض والباعث ، ولذا صح الاستشهاد في هذه الرسالة بالشعر بل صح أن تكون كلها شعرا »[2].

جاء في رسالة ابن العميد : " وكما قال الفرزدق [من الطويل]:

لَيَوم أَتَتْ دُون الظلاَلِ شُموسهُ تُظَلُّ المَهَا صورا جَماجِمُهَا تَغْلِي

وكما قال مسكين الداريمي [من الطويل]:

وهـَـاجِرة ظَلَت كَـــأن ظِباءَها إِذَا ما اتَّقتهَا بِالقـرُون سُجـــود

تَلُوذ بِشؤْبُوب مِن الشَّمسِ فَوْقهَا كَمَا لَاذَ من وَخزِ السِّنانِ طَرِيدُ

---

[1] . سورة الصافاتﷺ الآية 10]

[2] . أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط 7 ، 2009 م ، ص 532

هذا الاستشهاد أتى به ابن العميد لتقوية مقصوده في رسالته ، ولتأييد رأيه ، كما أتى بأمثلة من الحياة العامة في دعائه على الهلال حيث يقول : « ويسمعني النعـرة في قفا شهـر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بني عامر ، وأضنى من قيس بن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوءها ، ويحط من الأجسـام نـؤها ، كلفا يغمرها وكسوفا يسترها ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة ، وينقص من أطرافه كما تنقص النيرات من طـرف الزنــد ،... »[1] .

ليواصل رسالته : « ويجعله من نجوم الرجم ، ويرمي به مسترق السمع ، ويخلصنا من معاودته ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتـان ويصنع به صنعه بالألوان ويقابله بما تقتضيه دعـوة السـارق إذا افتضـح بضوئه وتهتك بطلوعــه (ويرحم الله عبدا قال آمينا) واستغفر الله جل وجهه بما قلتــه إن كرهــه واستعفيه من توفيقي لما يذمه ، وأسأله صفحا يفيضه ، وعفوا يسيغه ، وحالي بعد ما شكوتــه صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر »[2] .

. التلوين الفني والتصوير الأدبي :

كان أسلوب كتاب القرن الرابع يشبه أسلوب الشعر ، نجدهـم أبدعـوا في ذلك وتفوقوا على من سبقهم ، يقول شوقي ضيف في ذلك وخاصا ابن العميد لأنه إمام هـذه المدرسة بالقول : « والواقع أن ابن العميد وتلاميذه من أمثال الصابي وابن عباد رفعوا الحواجز التي كانت بين أسلوب الشعر وأسلوب النثر ، أو قل على الأقل إنهم رفعوا كثيرا من هذه الحواجز فقد أحالـوا نثرهــم إلى موسيقى خـالصة فكله ألحـان وأنغـــام ، وما الفــارق الــذي يفـرق بين هذه السجع والشعر ؟ إنه يعتمد مثله على الموسيقى ، كما يعتمد مثله على

---

[1] . أبي منصور عبد الملك الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج3 ، مرجع سابق ، ص 191

[2] . المرجع نفسه ، نفس الصفحة

البديع ، وما يزال الكاتب به حتى يخرجه زخرفا ، ... ، وإنه يشبه الشعر ، ففيه جميع شياته من موسيقى وبديع ... »[1].

أهم ما نادت به هذه المدرسة هو السجع ، وقد ورد بشكل كبير رغم قصر الرسالة إلا أنها حوت الكثير منه : مثال ذلك (بركته .. خاتمته .. دوره .. سيره ..حركته .. نهضته .. يفيضه ..بوسعه ..دائرته .. ساعته .. / عندي ..عيني / السحر ..الكفر .. الهجر)

ألفاظ الرسالة الواضحة والأسلوب الممتاز أخرج لنا نصا فنيا متكامل الأركان ، عميق المعاني ، والأفكار والمعاني جاءت متسلسلة واضحة بسيطة وغير مبتذلة .

. التصوير الأدبي :

نال المجاز حظا وافرا في الرسالة حيث صور رمضان بالإنسان ، وتمنى لهذا الإنسان أن يصاب بالضعف والوهن والبلاء مثل ما حدث لمجنون بني عامر ، وقيس بن ذريح وأسير الهجر يقول في ذلك : « ويسمعني النعرة في قفا شهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بني عامر ، وأضنى من قيس بن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر » ، فنجد النص غني بالاستعارات في قوله " أنحف من مجنون ليلى " استعارة تصريحية كونه حذف المشبه وهو الهلال وأتى بالمشبه به وهو مجنون ليلى ، و نفس الحال في قوله " أظلم من الكفر " .

الموضوع في طرحه جديد فعادة يتبادل الناس التهاني بالشهر الفضيل ، غير أن ابن العميد خرج عن المألوف بسرد معاناته خلال الشهر في دلالة على أنه يأتي في أيام شديدة الحرارة التي لا تطيقها نفسه .

بشكل عام لابن العميد «أسلوب ارستقراطي إطنابي ، يقال فيه كل شيء بميزان ويقاس فيه كل لفظ وكل صورة بمقياس ، يسير في هدوء وبطء وجلال ، وينتقل على أنغام موسيقى تشد أوتارها حروف الجر المستعملة في لباقة ، وتتجاوب أصداؤها في

[1] . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، مرجع سابق ، ص 221

الأسجاع الملتزمة التزاما يقوم عليه نظام الكلام ، وإن لم يكن التزاما مطلقا وإن لفي هذا الأسلوب وزخارفه البيانية وتنميقاته البديعية ، وإشاراته اللغوية والتاريخية ، وأن لفي هذا المزيج من عناصر الأناقة والتوشية والموسيقى ما يستثير الإعجاب »[1]، يقول في ذلك محمود غناوي الزهيري :« وتستطيع أن تقول أن ابن العميد كان أستاذ الجيل ، وكاتب العصر وصاحب طريقة في الكتابة تفرد بها ، وعرفت باسمه ، وتأثر فيها كتاب زمانه وما بعد زمانه ،...، ثم إنه كان شخصية قوية قد غلبت حتى على شخصية سيده ومولاه ركن الدولة ، كل ذلك جعل منه عاملا من عوامل النهضة الأدبية والعلمية أيام بني بويه ممدوحا وكاتبا ومعلما ومقارضا ومكاتبا »[2].

أما شوقي ضيف في وصفه وحديثه على طريقة ابن العميد يقول :« يوازن بين كل لفظة وقرينتها في العبارتين المتجاورتين ، وبذلك يرفع ما قد يحسه القارئ أو السامع من بعد الزمن في موسيقى الجملتين ، وكأني بابن العميد كان يعرف معرفة دقيقة أنه كلما طال الزمن الذي تستغرق الأذن في سماع العبارات المسجوعة نقص التلاؤم الموسيقي بل وحتى إن طالت الجمل في كلامه يعمد إلى تجزئة الجملة اللاحقة بها »[3]

بعد دراستنا للنماذج السابق ذكرها تبين لنا أن الرسائل الأدبية خلال هذين القرنين لم تختلف في بنيتها ، إذ تشكلت من نفس العناصر ، حتى البنية الفنية لم تختلف الشيء الكثير، إلا أن رواد مدرسة الصنعة التزموا السجع بشكل خاص في مكاتباتهم ، بل أصبح ضرورة فنية لا يمكن الحياد عنها .

[1] ـ حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ،مرجع سابق ، ص 642 ـ 643
[2] ـ المرجع نفسه ، ص 643
[3] ـ زينة عبد الجبار المسعودي ، الرسائل الفنية حتى نهاية العصر العباسي الرابع ، مرجع سابق ، ص 69

خاتمـــــة

خـاتمــة

ختاما لبحثنا الذي حاولنا من خلاله التحلي بالموضوعية والروح العلمية ، قمنا برصد الدور الرائد الذي لعبه النثر الفني بشكل خاص الرسائل الأدبية في مرحلة تاريخية عدت الأبرز في مراحل هذا الصنف النثري ، ، حيث عبر الأدباء فيها بخلجاتهم وتطلعاتهم ومدى تأثير العوامل الحياتية المحيطة بهم على نهجهم وأساليبهم في الكتابة .

وفي جولتنا خلال هذين القرنين في مختلف تلكم المكاتبات الخاصة بهذا النمط الترسلي وقفنا على القيمة الكبرى لتلك الجهود المبذولة والمتضافرة ، والتي كان لها الفضل في بناء صرح الرسائل الفنية عامة ، والأدبية بصفة خاصة بل إن الكتابة الفنية نافست الشعر وسارا جنبا إلى جنب في جو تنافسي من حيث الأسلوب الفني ، والتنوع الموضوعي ، والنغم الموسيقي .

خلصنا بجملة من النتائج تتمثل في الآتي :

ـ البناء العام لشكل الرسالة وإن اختلفت مواضيعها ، واحد (يتكون من مقدمة ومتن وخـاتمة) ، عبر جميع الأعصر ، لكن الاختلاف كان في إدراج بعض العناصر أو التخلي عن العناصر الثلاثة السابقة .

ـ تطبعت الرسائل الأدبية بطبائع الشعر ، وأخذت من موضوعاته خلال هذين القرنين سواء كـانت أغـراض تعبيريـة (مـدح ، هجـاء ، رثـاء ، ...) أو في شكلها التعبيـري مـن (مفاخرة، محاورة ، مفاضلة ، ...) .

ـ من حيث الأسلوب نجد الرسائل خلال القرنين الثالث والرابع هجري تضمنت بعض الآثار الإسلامية من آيات بينات من الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف ، وآثار من التراث الأدبي من أمثال وقصص وأشعار سابقيهم ، بل حتى من شعر من عاصرهم .

اعتنوا بتوشية رسائلهم بالزخارف الفنية من ألفاظ ومعاني ، وإن طغى التسجيع على كتاب القرن الرابع الهجري ، أين اهتموا بالصنعة بشكل مبالغ فيه لكن قدراتهم اللغوية الفذة لم تفقد رسائلهم الجمال والكمال الفني ، يتجلى ذلك بوضوح في رسائل ابن العميد ومن نهج نهجه .

ـ يعد الجاحظ إمام المترسلين في القرن الثالث هجري ، وابن العميد إمام المترسلين في القرن الرابع هجري .

ـ التلوين الفني للرسائل الأدبية (الألفاظ ـ المعاني ـ السجع ـ والايجاز والاطناب ـ ...) تجدها عند كتاب القرنين ، غير أنها عفوية عند كتاب القرن الثالث هجري ، وملزمة عند كتاب القرن الرابع هجري .

ـ كتاب هذين القرنين نهلوا من مختلف علوم ومعارف وثقافات الشعوب الوافدة عليهم خاصة الفارسية .

ـ الملكات اللغوية والأدبية لكتاب القرنين بلغت ذروتها ، مما ساعدهم في السمو بنثرهم والارتقاء به من خلال تنميقه وإخراجه في أبهى حلله ، إلى حد أنه بلغ رقة الشعر ، وأخذ نغمه الموسيقي .

ـ كتاب القرن الرابع هجري ورغم مبالغتهم في الصنعة اللفظية لم يقعوا في التكلف والإسفاف بسبب ملكاتهم غير العادية .

وختاما نرجو أن يكون بحثنا إضافة إلى ما سبق من دراسات في هذا المجال ، الذي مازال يحمل الكثير من الأسرار واللطائف التي تستحق الوقوف عليها من طرف طلبة العلم المهتمين بهذا النوع من الدراسات الأدبية ، وأن يأتوا بالإضافات التي سهونا عنها ، مع تمنياتنا للمتصفح والمطلع عليه أن يعود عليه بالفائدة .

ولله الحمد والمنة

بسكرة في : 19 جـــوان 2022

قائمة

المصادر

والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

أولا قائمة المصادر :

1. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ج 1 ، مكتبة لسان العرب ، القاهرة ، مصر .
2. أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، شرح وتحقيق مفيد محمد قمحية ، ج 3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1403 هـ 1983 م .
3. أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، ج 3 المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

ثانيا / قائمة المراجع

1. ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تحقيق أحمد مطلوب ، مكتبة العاني ، بغداد العراق ، 1967 م .
2. أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج 6 ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1333 هـ . 1915 م .
3. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السيود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1419 هـ 1996 م .
4. أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، إحكام صناعة الكلام ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1966 م .
5. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ج1 مطبعة أمين هندية ، مصر ، ط1 ، 1344 هـ . 1925 م .
1. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط 2 .

6. أحمد أمين ، فجر الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر 2012 .
7. أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط 7 2009 م .
8. أحمد الشايب ، الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 1 1991 م .
9. أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ج 1 ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر 1379 هـ . 1960 م .
10. الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ج 6 ، شرحه محمد عبد المنعم خفاجي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط 2 ، 1372 هـ . 1953 م .
11. السيد عبد الحليم محمد حسين ، السخرية في أدب الجاحظ ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ليبيا ، ط 1 . 1397 هـ . 1988 م .
12. بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود بيروت ، لبنان .
13. بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأعصر العباسية ، حياتهم . آثارهم . نقد آثارهم مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2013 .
14. جمال الدين بن نباتة المصري ، سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي .
15. جورجي زيدان ، تاريخ اللغة العربية ، ج2 ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة مصر ، 2012 .
16. حسين بيوض ، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ، سوريا ، 1996 م .
17. حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، دار الجيل بيروت ، ط 1 ، 1986 م .
18. خليل مردك بك ، أئمة الأدب ، أبن العميد ، مكتبة عرفة ، دمشق ، 1350 هـ 1931 م .

19. زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع هجري ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، 2013 .

20. زينة عبد الجبار محمد المسعودي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع هجري ، مركز البحوث والدراسات الاسلامية ، العراق ، ط 1 ، 1430 هـ 2009 م .

21. شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ط 10 .

22. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة مصر، ط 11 .

23. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف القاهرة ، ط 8 .

24. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، دار المعارف القاهرة ، مصر، ط 11 .

25. صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم مشروع قراءة شعرية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان .

26. صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الشروق ، مصر ، ط 1 1419 هـ . 1998 م .

27. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، ج 1 ، دار النهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة .

28. عبد الحكيم بلبع ، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

29. عبد الحميد حسين ، الأصول الفنية للأدب، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط 2 ، 1964 م .

30. عبد العزيز عتيق ، في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، ط 2 ، 1391 هـ . 1972 م .

31. عدنان حسين قام ، التصوير الشعري ، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2000 .

32. علي بن محمد الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت 1985 م .

33. علي جميل مهنا ، الأدب في ظل الخلافة العباسية ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، 1981 .

34. علي حب الله ، المقدمة في النثر العربي ، مشروع رؤية جديدة في تقنيات البحث والكتابة ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1421 هـ . 2001.

35. عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 5، تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط 7 ، 1418 هـ . 1998 .

36. عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ، ج 2، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الجيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر .

37. عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، ج 1، تحقيق عبد السلام محمد هارون شركة مكتبة مصطفى بابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط 2 ، 1384 هـ . 1965 م .

38. فايز عبد النبي ، فلاح القيسي ، أدب الرسائل في الأندلس ، في القرن الخامس الهجري ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1409 هـ . 1989 م

39. محمد حسين المهداوي ، فهد نعيمة البيضاني ، أدب أفي الفضل بن العميد ، دار الفرات للثقافة والاعلام ، العراق ، 2018 م .

40. محمد رجب النجار ، النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابية ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط 2 ، 2002 .

41. محمد زكي عبد السلام ، النثر الفني في القرن الرابع هجري ، دار التأليف المصرية ، 1934 م .

42. محمد نبيه حجاب ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، دراسة تحليلية نقدية لتطوير الأساليب ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة ، ط 2 ، 1406 هـ . 1986 م .

43. محمد يونس عبد العال ، في النثر العربي قضايا وفنون ، مكتبة لبنان ناشرون . 1996

44. محمود المقداد ، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية ، دار الفكر بيروت ، لبنان ، 1413 هـ . 1993 م .

45. محمود المقداد تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام ، دار الفكر دمشق ، سورية ، ط 1 ، 1413 هـ . 1993 م ,

46. مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز ، دراسة بلاغية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر .

47. ناظم رشيد ، الأدب العربي في العصر العباسي ، مديرية الكتاب للطباعة والنشر جامعة الموصل ، العراق ، 1989 م .

48. نبيلة حسن محمد ، تاريخ الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية مصر ، 1993 .

ثالثا/ القواميس والمعاجم :

1. إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية مصر ، ط 4 ، 1425 هـ . 2004 م .

2. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري ، لسان العرب مج 1 ، دار الأبحاث ، الجزائر ، ط 1 ، 2008 .

3. ابو الحسن أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، ج 2 ، دار الفكر للطباعة والنشر دمشق ، 1399 هـ . 1979 م .

4. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق أبو الوفاء نصر الهوريني المصري ، مراجعة أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد ، دار الحديث القاهرة ، 1429 هـ . 2008 م .

5. مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط 4 .

6. محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، ج 2 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 2 ، 1419 هـ . 1999 م .

7. محمد بوزواوي ، معجم مصطلحات الأدب ، دار الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع الجزائر ، 2009 .

رابعا / الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. محمد محمود أحمد الدروبي ، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية ، كانون الأول ، 1996 م .

2. عبد الرحمن عطاء المنان ، الخطابة في عصر بني أمية ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، 2002 م .

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ - ج
الفصل التمهيدي : النثر الفني الترسلي في العصر العباسي	
تمهيد	05
أولا . مفهوم الرسالة	09
01 . المفهوم اللغوي	09
02 . المفهوم الاصطلاحي	11
ثانيا . تطور الرسالة عبر العصور الأدبية	14
01 . الترسل في العصر الجاهلي	14
02 . الترسل في العصر الإسلامي	15
03 . الترسل في العصر الأموي	17
04 . الترسل في العصر العباسي	18
أ . القرن الثالث هجري	20
ب . القرن الرابع هجري	20
ثالثا . أنواع الرسائل	21
01 . الرسائل السياسية (الرسمية)	21
02 . الرسائل الإخوانية	23
أ . المظاهر الاجتماعية	24
ب . العلاقات الشخصية	24
03 . الرسائل الأدبية	25
الفصل الأول : الرسائل الأدبية ، الأغراض والخصائص	
تمهيد	05
أولا . الأغراض الأدبية والأشكال التعبيرية	28

01 . الأغراض الأدبية ____ 28
أ . المدح ____ 28
ب . الرثاء ____ 29
ج . الهجاء ____ 29
د . الوصف ____ 29
02 . الأشكال التعبيرية ____ 31
أ . المفاخرة ____ 31
ب . المحاورة ____ 32
ج . المفاضلة ____ 32
د . المساجلة ____ 32
ه . المخارجة ____ 33
ثانيا . الخصائص الفنية للرسائل الأدبية ____ 33
أ . القرن الثالث هجري ____ 20
ب . القرن الرابع هجري ____ 20
ثالثا . أنواع الرسائل ____ 33
01 . عناصر الشكل ____ 34
أ . المقدمة ____ 35
. البسملة ____ 36
. الدعاء ____ 37
. التحية ____ 38
. الحمدلة ____ 39
. الصلاة على النبي ____ 39
. التخلص ____ 39

ب . المضمون 41

ج . الخاتمة 42

01 . عناصر الأسلوب 43

أ . الأثر الإسلامي والأثر التراثي 44

. الأثر الإسلامي 44

. الأثر التراثي 45

ب . التلوين الفني 47

. الألفاظ والمعاني 48

. السجع والتوازن 49

. التصوير والخيال الأدبي 51

. الإيجاز والإطناب 52

. الاقتباس 53

الفصل الثاني : البنية والخصائص الفنية في الرسائل الأدبية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري

تمهيد حول البنية الفنية للنص الأدبي 56

أولا . مميزات وخصائص بنية الرسالة الأدبية في القرن الثالث هجري 58

دراسة رسالة للجاحظ ورسالة سهل بن هارون . نموذجا .

01 . خصائص الترسل في القرن الثالث الهجري 58

02 . رسالة صناعة القواد للجاحظ 59

الغرض والخصائص الفنية للرسالة 60

أ . الغرض الأدبي الذي تنتمي إليه الرسالة 60

ب . البنية والخصائص الفنية للرسالة 60

*. عناصر الشكل 61

. المقدمة 61

. العرض ____ 61
. الخاتمة ____ 62
*. ظواهر الأسلوب ____ 62
. عنوان النص ____ 63
. الأثر الإسلامي ____ 63
. الأثر التراثي ____ 63
. ألفاظ الجاحظ ____ 65
03 . رسالة أفضلية الزجاج على الذهب لسهل بن هارون ____ 68
الغرض والخصائص الفنية للرسالة ____ 70
أ . الغرض الأدبي الذي تنتمي إليه الرسالة ____ 70
ب . البنية والخصائص الفنية للرسالة ____ 71
*. عناصر الشكل ____ 71
. عنوان الرسالة ____ 71
. المضمون ____ 71
. الخاتمة ____ 72
*. ظواهر الأسلوب ____ 72
. اللغة ____ 72
. الأثر الإسلامي ____ 73
. التلوين الفني والتصوير الأدبي ____ 73
ثانيا . مميزات وخصائص بنية الرسالة الأدبية في القرن الرابع الهجري ____ 74
دراسة رسالة ابن العميد يصف حالته في شهر رمضان . نموذجا .
01 . خصائص الترسل في القرن الرابع الهجري ____ 74
02 . رسالة ابن العميد يصف حالته في شهر رمضان ____ 76

الغرض والخصائص الفنية للرسالة ـــــــــــــــــــــــــــــــ 78

أ . الغرض الأدبي الذي تنتمي إليه الرسالة ـــــــــــــــــــــ 78

ب . البنية والخصائص الفنية للرسالة ـــــــــــــــــــــــــ 78

*. عناصر الشكل ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 78

. المقدمة ـــ 78

. المضمون ـــ 79

. الخاتمة ـــ 80

*. ظواهر الأسلوب ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 81

. الأثر الإسلامي ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 81

. الأثر التراثي ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 81

. التلوين الفني والتصوير الأدبي ــــــــــــــــــــــــــ 82

خاتمة ـــ 86

قائمة المصادر والمراجع ـــــــــــــــــــــــــــــــ 89

فهرس الموضوعات ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ 96

ملخص البحث

بالعربية

والإنجليزية

ملخــص :

عرفت كتابة الإنشاء في العصر العباسي قفزة نوعية ، تطورت فيه أشكاله ومضامينه وتعددت مواضيعه ، وإن كانت إرهاصات التغيير بدأت ملامحها بالظهور منذ أواخر العصر الأموي على يد عبد الحميد الكاتب .

وما إن بسطت الدولة العباسية يدها على الحكم آخذة في الامتداد شرقا وغربا ، واتسعت رقعتها الجغرافية وضم عديد الأجناس إليها كثرت الدواوين وأصبح الإنشاء والترسل ضرورة حتمية ، بل أصبحت الرسائل همزة الوصل بين الخلفاء ومختلف الأمصار ومسيريها ، بل أداة لتصريف شؤون الدولة والناس ، هذا التوسع فتح الباب أمام الثقافات الأخرى لتمتزج وتنصهر بالثقافة العربية ، فتأثر كل منهم بالآخر مما ساعد على تطوير الكتابة الفنية النثرية يظهر ذلك بشكل واضح في الخصائص والأساليب الفنية التي ميزت الرسائل على اختلاف أشكالها وموضوعاتها خاصة منها الأدبية كالتطويل والإطناب وتأنق العبارة والتفخيم والتعظيم تأثرا منهم بالأسلوب الفارسي كون أغلب الكتاب المترسين كانوا فرسا .

إلا أن الملاحظ في كتابة الرسائل الأدبية خلال القرنين الثالث والرابع هجري ، من حيث التزيين والتأنق في ألفاظ ومعاني أساليبهم الترسلية ، عرف تفاوتا في توظيفه ، فمن حيث أن كتاب القرن الثالث لم يلتزموا به ولم يعتبروه ضرورة فنية ، أنما يأتي عفويا ، كان ضرورة ملزمة عند كتاب القرن الرابع هجري .

Summary:

The writing of construction in the Abbasid era was known as a qualitative leap, in which its forms and contents developed and its topics multiplied, although the harbingers of change began to appear since the end of the Umayyad era at the hands of Abdul Hamid Al-Katib.

And as soon as the Abbasid state extended its hand over the rule, expanding in the east and west, and expanded its geographical area and the inclusion of many races to it, the bureaucracies multiplied, and the creation and dispatch of transmission became an inevitable necessity. The door to other cultures to blend and fuse with the Arab culture, each affected by the other, which helped to develop prose artistic writing. Experienced writers were Persians.

However, what is noticeable in the writing of literary letters during the third and fourth centuries AH, in terms of embellishment and elegance in the words and meanings of their communicative methods, knew variation in its use, since the writers of the third century did not adhere to it and did not consider it a technical necessity, but it comes spontaneously, it was a binding necessity when Fourth century AH book.